19me; année No 917
Le Caire 29 — 1 — 1951

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩١٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٠ ربيع الآخر سنة ١٣٧٠ — ٢٩ يناير سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

الدين والسلوك الانسانى

للاستاذ عمر حليق

— ٢ —

دراسة الدين والسلوك الدينى موضوع لن يطامح كاتب هذه السطور أن يستنبط له منهجا جديدا ؛ إنما هو يستوحى لذلك ما انتهجه بعض أئمة البحث الغربيين من مناهج ، وذلك لأن هذه الدراسة قصد بها التعرف على مشكلة الدين والسلوك الإنسانى فى المحيطين الأوروبى والأمريكى اللذين تغزو موجاتهما دعائم الفكر العربى فى هذه الآونة مما أوجد بين بعض المثقفين العرب اتجاها سلبيا إزاء وظيفة الدين الروحية والاجتماعية . وهذا ما يدفعنى إلى اتخاذ هذا النهج على أساس الحكمة التى تقول « من فمك أدينك »

ويجب ألا يغرب عن البال أن البحث فى وظيفة الدين الاجتماعية لا يعنى الانكباب على دراسة « اللاهوت » ؛ فاللاهوت يختص بالتعرف على التطور الفكرى والتاريخى للمذاهب الروحية ، بينما ينطوى علم الدين الاجتماعى على استعراض علاقة الغريزة الدينية بالحياة اليومية وما يعرف الآن بعلم الاجتماع الدينى

فالناحية اللاهوتية فى الدين تعالج العقيدة من حيث أنها إيمان وذلك عن طريق الدراسة لفلسفة الوجود والتعبير الدينى ممثلا فى الصلوات والعبادات . (١) وعلم الدين الاجتماعى يتطرق إلى الظواهر الاجتماعية وصلتها بالحياة الروحية . وهذا فى الواقع صلب الإشكال بين المفكرين فى الغرب وانقسام الرأى فيهم بين أنصار العقل والقيم الروحية من جهة ، وأنصار الغريزة البدائية من جهة أخرى

ولا ريب أن العلاقة وثيقة بين اللاهوت وعلم الاجتماع الدينى ، ولكنها ليست ضرورية دائما . ويخيل إلى أن الإسلام فى بساطته ووضوح تعاليمه لا يتطلب دفاعا لاهوتيا على النحو الذى تتطلبه الأديان السماوية الأخرى

ولقد كثرت فى الآونة الأخيرة أبحاث بعض المفكرين المسلمين فى الشرق العربى عن علاقة الاسلام بالمذاهب السياسية والاقتصادية والفكرية المعاصرة. والجدل الذى أثير مؤخرا حول هذه البحوث لا يتطرق إلى صلب الدين الاسلامى ولا يجادل جوهره ومبادئه ، وإنما يطوف حول الناحية الاجتماعية فى التعاليم الاسلامية

والواقع أن هذا الظمأ إلى دراسة هذه الناحية الاجتماعية فى العقيدة الدينية قد ألهم الكثير من رجال الفكر الأوربى

---

١ — راجع
H,P Boullaye L Etudes comparés dès Religions
E,S Brightman A philosophy of Religion

والأمريكى لـكتابة بحوث مماثلة لهذه التى صدرت مؤخراً فى العالم الاسلامى (٢)

ولـكن الفارق الرئيسى بين بحوث هؤلاء الغربيين وبين معالجات المسلمين هو افتقار الأديان السماوية الأخرى إلى التعاليم الدنيوية التى تنظم الحياة الاجتماعية . هذه التعاليم التى يزخر بها القرآن الـكريم والحديث الشريف واجتهاد الأئمة المسلمين . وهـذا فارق يبسط دراسة الناحية الاجتماعية فى الاسلام لا على أساس من الاقتباس والاستعارة ولـكن بالمقارنة وإعادة تفسير التعاليم الاسلامية وتطهيرها من الباطل الذى علق بها زوراً وبهتانا دون مساس بالعقيدة والجوهر ، وفى لغة يفهمها أهل هذا العصر

إذن فهدفنا الرئيسى هو التعرف على علاقة الدين بالظواهر الاجتماعية . ولعل فى ذلك ما يساعدنا على تفهم المغزى الجليل النفع فى السلوك الدينى ويوفر لنا أضواء نلقيها على عظمة الروحانية التى يحمل لواءها الدين والتى تواجه هـذا التحدى من عناصر المجتمع العربى هذه الأيام

ويجب أن نقرر فى هذه المرحلة من الحديث أن الدين لم يمت ولن يموت ، لسبب بسيط وهو أن السلوك الدينى تعبير عن الغريزة الدينية الـكامنة فى أنفسنا جميعا . والغريزة لا تموت دائماً بل تنطمر فى بعض الحالات تحت ركام من العقد النفسانية والمشاكل الدنيوية . فإذا توفر لها من يزيل عنها هذا الركام برزت صافية جلية تبعث فى الفرد وفى المجتمع الطمأنينة الحقة وهى سر السعادة والهناء فى عالم قلق مضطرب

فاتجاه بعض المفـكرين إذن إلى دراسة الإسلام على ضوء علم الدين الاجتماعى هو نتيجة حتمية لموجة الاضطراب الفـكرى التى تعترى بعض المسلمين من أصحاب الثقافة الغربية فى هـــذه الآونة ـ وبعض هؤلاء ابتعدوا عن الدين لا بدافع التحامل الأعمى أو الإلحاد ولـكن لمجرد افتقار برامج التعليم إلى المواد الدينية بقسط أوفر من القسط الذى تحظى به هـذه البرامج الآن ، وافتقار الحياة الفـكرية كذلك إلى بحوث علمية تدرس الدين على أسس من المناهج المستحدثة

فالمشكلة إذن مشكلة جهل وليست مشكلة إلحاد ، وإن كان الجهل فى بعض الحالات يكون كفرا

ولست أدعى أبدا أن دراسة الناحية الاجتماعية فى الدين الاسـلامى تغنى عن متابعة الاجتهاد فى علوم الفقه والشريعة وأصول الدين على النحو الذى تقوم به معاقل الاسلام فى الأزهر وغير الأزهر . فالحقيقة أن علم الدين الاجتماعى متمم لعلوم الفقه والشريعة وأصول الدين . فالدراسة الدينية تبرز الجوهر وتشرح التفاصيل وتفسر ما استعصى على بعض النـاس فهمه من ألوان الروحانية التى يحملها الدين . والدراسة الاجتماعية للدين تشرح صلاح هذا الجوهر وهذه الروحانية لاحتضان المستجد المفيد من التفـكير السياسى والاقتصادى المعاصر . والبارزة الفريدة فى الاسلام أن كلتا الناحيتين ممتزجتان فى صورة متماسكة متشابكة ، الأمر الذى يورد بعض الـكتاب موارد الزلل فى معالجتهم لهذا التماسك وهذا التمازج

والخروج من هذا الإشكال يستوجب على الباحث أمرين :

١ — اختيار صادق للعقيدة والإيمان وما يستتبع ذلك من طمأنينة وسمو نفسانى ونزاهة فى التفـكير والقصد

٢ — إدراك المشاكل الاقتصادية والسياسية التى تعيش فى نفسية رجل العصر الحاضر وفى مجتمعه

وللباحث أن يدرك كذلك الفرق بين العقيدة والإيمان وفلسفة الحياة الروحية ، وبين النظرة الواقعية لمجرى الشؤون الدنيوية والسلوك الإنسانى (٣)

فليس هناك صدق علمى فيما يحلو للبعض الـكتابة عنه هذه الأيام « كالاشتراكية فى الاسلام » و « الشيوعية فى الاسلام » وغير ذلك من عناوين ؛ وإنما هنالك مجال للبحث بين علاقة التعاليم الاسلامية بالمشكلة الاجتماعية أو الفكرة السياسية وماشابه

---

٢ —
Olive wyn The Social Teachings of the Christian churches
R. Neibuhr The Social structure of Denominalism
A. Tinani Catholocism Protestantism and Communism
A. Hyma christianity capitalism and communism

٣ — راجع كتاب
J. wach Sociology of Religion p. 7

ذلك من مظاهر النشاط الانسانى

فالاشتراكية والشيوعية نظم سياسية واقتصادية ، والدين عقيدة وإيمان فوق أنه دستور للنشاط الانسانى . والخلط بين الاثنين قصور عن فهم العقيدة وافتقار إلى اختيار الايمان وعجز عن تفهم ما انطوت عليه تلك النظم الاقتصادية من أسس قد لا تنطبق على كل مجتمع فى كل صعيد

فعلم الدين الاجتماعى لا يجوز أن يكون وسيلة لتنفيذ برنامج معين من برامج الإصلاح السياسى والاقتصادى؛ والترويج لها من مقتبسات القرآن والحديث والاجتهاد ، وإلا فقد الدين مزيته الرئيسية وأصبح كبرامج الأحزاب السياسية يتجدد ويتبدل بتبدل الأوضاع والملابسات

فقبل أن تنشأ الماركسية نشأت نظم سياسية واقتصادية واجتماعية عديدة تحدى بعض مروجيها العقيدة الدينية واتهموها بأنها عائق فى وجه الإصلاح . ثم اندثرت تلك النظم أو تطورت إلى نظم أخرى . وبقيت العقيدة الدينية كامنة فى قرارة السلوك الانسانى تحفظ الحياة وقيمها الرفيعة فى خضم القلق والثورات والحروب ، وتلهم الناس أسباب الطمأنينة والثقة بالعدالة الإلهية وبالاستقرار النفسانى والاجتماعى (٤) . ويحب كاتب هذه السطور أن يذكر على سبيل المثال أنه اشترك فى جامعة كولومبيا فى نيويورك فى السنة الماضية فى حلقة دراسية عالجت تطور التفكير فى أمريكا فى فترة ما بعد الحرب فتبين لأعضاء الحلقة أن الكتب الدينية هى من أكثر المنشورات رواجا فى عالم ما بعد الحروب — رواجا أثبتته إحصاءات الكتب الرائجة التى تنشرها الصحافة الأمريكية بانتظام (٥)

فالنظم السياسية والاقتصادية كالماركسية مثلا أسلوب فى الحياة يستمد مبادئه من الظواهر الاجتماعية وهذه الظواهر تتأثر بالظروف والأوضاع المتقلبة بينما الدين غريزة متأصلة فى قرارة النفس كغريزة الأكل واللعب . قد يأتى عليها حين ترسب خلاله إلى الحضيض لفترة قصيرة، ولكن لا مفر لها من أن تجد سبيلها إلى الشعور الواعى فى الأحيان الكثيرة

على أن هناك أموراً أخرى لا مفر من إقرارها ما دمنا بصدد الكلام عن منهج البحث منها :

١ — إدراك الباحث والقارىء معا واعترافهما بحقيقة الاختبار الدينى وقوة الإيمان والمتعة الروحية والتطور التاريخى الذى صاحب ولا يزال يصاحب التعبير عن هذا الاختبار وعن هذه المتعة . وهذا الاختبار إن كان يتنوع فى وسائل روحانياته بين مختلف الأديان السماوية إلا أنه اختبار على كل حال يشترك فيه كل مؤمن .

والتنوع فى اختبار المتعة الروحية يستند أولا : إلى الاختلاف فى جوهر العقيدة (كما هو الحال بين الإسلام والبرهمانية مثلا حيث يجد بعض البرهمانيين المتعة فى إيلام الجسد) . ويستند ثانيا : إلى اختلاف التطور الفكرى بين الشعوب وطبيعة أوضاعها التاريخية والجغرافية والحضرية . فإذا كان المسيحى الصادق فى أمريكا مثلا يخرج من صلاة الأحد طاهر القلب صافى الذمة ليذهب ويلعب ويعاقر الكأس وهو فى حل من الإثم والمعصية فإن المسلم لا يصح له ذلك ، فاختبار المسلم لروحانية الدين تنفى كل ذلك . والتطور التاريخى والفكرى فى أمريكا أصبح يحول بين المتعة الروحية فى الكنيسة وصفاء نفس المؤمن صفاء صادقا وبين انعكافه وهو فى هذا الصفاء على احتساء كأس من الخمر والتسلى بلعب الورق (٦)

ومثل هذا تنوع جوهرى لا يفطن له الذين يعالجون الناحية الاجتماعية فى الاسلام على ضوء ما استوحوه من التفكير الغربى ولعل ذلك يفسر التباس الأمر عليهم فى بعض أوجه العلاقة بين

٤ — راجع كتاب
L. I. Bernard, The Field and Method of Sociology of Religion

٥ — مثال ذلك كتب :
فى طبعته الخامسة عشر Mgr. Sheehan, peace of Soul
فى طبعته العاشرة Cverstreet The Mature Mind
فى طبعته السادسة Leiberman, peace of Mind

5-Max weber, protestant Ethics and the Rise of capitalism

٦ — ... من الكتب الفريدة التى عالجت العلاقة بين الروحانية الدينية والنشاط العملى كتاب ماكس وبر
وكذلك كتاب
J. Dorfman, The pramatic Mind in Amercan Civilizatio

إسعاف النشاشيبي

بمناسبة ذكرى وفاته

للاستاذ كامل السوافيري

يصادف ظهور هـذا العدد من مجلة الرسـالة موعد حلول الذكرى الثالثة لوفاة زعيم العربيـة وإمام المحققين المغفور له الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي إذ طواه الردى فى منتصف ليل اليوم الثانى والعشرين من يناير سنة ١٩٤٨

ومن حق الفقيد على مجلتـه الأثيرة التى خصها بنقله ، أن تفسح صدرها لدمعة عليه فى يوم ذكراه وهى المجلة التى استمدت وفاءها من عميدها الكبير الذى كان ثالث ثلاثة استبقاهم الوفاء بجانب الفقيد فى ساعاته الأخيرة ، والذى عده الفقيد ثالث الكتاب بعد الجاحظ وأبى حيان وقال عنـه إنه أمير النثر والناثرين وإنه سـيد البلغاء [١] . وهيهات لمثلى العاجز أن يتطاول فيحاول أن يوفى الفقيد حقه ، أو يحصر مآثره على لغة الضاد وهو الذى حمل لواء الدفاع عنها خمسة وستين عاماً يصول فى كل ميدان ، ويجول فى كل حلبة فما نبا له صارم ولا كبا به جواد. ولـكنها عبرة أسكبها وزفرة أرجيها تقديراً لعلم من أعلام الأدب وكوكب مشرق فى سمائه طالما أرسل ضياءه إلى دنيا العرب والعروبة

ومن حق الفقيد على الأدباء فى مصر والعالم العربى أن يحتفلوا بذكراه وهو الذى دوى صوته مجلجلا فى القدس ودمشق وبيروت والقاهرة وبغداد فهز القلوب بأسلوبه الرائع ، وبيـانه الساحر . ولـكننا فى الشرق — والأسى يملأ الجوانح — نضن بالوفاء على الأحياء فكيف بمن ضمهم الثرى، ووارهم التراب لقد كان الفقيد طرازاً خاصا من الأدباء تعصب للفصحى ،

(١) من كلمة للجديلى بك عن الفضيلة الرسالة عدد ٧٦٢

الإسلام والمشاكل الاجتماعية

٢ — دراسة الظواهر الدينية كما تبدو فى المجتمع . وهـذا يتطلب تجرداً علميا ينفذ إلى الصميم . لا يأخذ بقشور هـذه الظواهر وإنما ينفذ إلى اللباب الذى كثيراً ما تتراكم عليه ألوان من العرف والعادات والتقاليد التى ليست من أصوله ولا هى من جوهره . ولعل التحامل الذى يصدر عن بعض مفكرى الغرب فى دراستهم للدين الإسلامى يعزى إلى فقدان هذا التجرد والعجز فى إزالة الركام عن لباب الظواهر الاجتماعية. وهذا أيضا خطأ يأخذ به بعض المحدثين من المسلمين أنفسهم إذا ما حاولوا معالجة السلوك الدينى فى المجتمع الذى يعيشون فيه

٣ — توزيع العمل فى الدراسة العلمية . فالباحث فى علاقة الدين بالمشاكل الاجتماعية لا بد وأن يكون ملما بكلا الموضوعين إلماما واسعا . فالاقتصادى الذى يكتب عن الاقتصاد فى الاسلام لاينبغى أن يقتصر على ذخيرته من علم الاقتصاد وإنمـا يترتب عليه أن يلم إلماما دقيقاً بهـذا التراث الضخم من الشريعة الاسـلامية وهو تراث ينفق الناس السنوات فى التعرف على بعض ألوانه . وقل مثل ذلك عن رجال الدين الذين يعالجون المسائل الاقتصادية العميقة من وجهة النظر الدينية

ووجه القصور فى بعض من كتب عن « الشيوعية فى الاسلام » أو « الاشتراكية فى الاسلام » أو « العدالة الاجتماعية فى الاسلام » أنهم ادعوا ما ليس لهم به علم كاف . فالاشتراكية مثلا مزيج من فلسفة واقتصاد وسياسة ودراسة اجتماعية وهى أدق وأعقد من أن تؤخذ فى سطحيتها وتقارن بالشريعة الاسلامية وفروع التخصص فيها عديدة متفرقة

فالـكتابة عن العلاقة بين الدين والمشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية عمل يجب ـ إذا توخى النفع الصادق ـ أن يشترك فيه جماعة من أهل الاختصاص فى حلقة أو حلقات يقوم فيها كل فى مجال اختصاصه بالدرس والبحث والتنقيب . أو أن يتفرغ لها الـكاتب فترة معقولة من الزمن يستعين بالمراجع الوثيقة فى المواضيع التى تمس لباب البحث مسا مباشراً أو غير مباشر. مستأنسا بآراء أهل العلم حين يستعصى عليه الفهم

أما اتباع الأسلوب الصحفى فى الـكتابة عن هذا الموضوع أو التصدى لمعالجته فى أدب المقالة والإنشاء فلن يحقق نفعا صادقا

نيويورك « البعث صلة » عمر حليق

واعتز بلغة الضاد وتصدى للداعين لنبذها والاستعاضة عنها برطانة الغوغاء ورماهم بشواظ من بيانه فأخرس ألسنتهم ، وله فى ذلك مواقف رائعة تختال لها لغة عدنان بشرا وطربا

تعصب إسعاف للغة العربية لأنه يراها أهم عنصر فى القومية، فمن تنكر للغته فقد تنكر لقوميته؛ ومن تنكر لقوميته فقد غدا حرباً على أمته وبلاده. وفى هذا يقول (اللغة هى الأمة ،والأمة هى اللغة وضعف الأولى ضعف الثانية، وهلاك الثانية هلاك الأولى . واللغة ميراث أورثه الآباء الأبناء ، وأحزم الوراث صائن ماورث، وأسفههم فى الدنيا مضيع ، وإنا أمم اللسان الضادى لعرب وإن لغتنا لهى العربية وهى الإرث الذى ورثناه وإنا لحفيظون — والآباء هم الآباء، واللغة هى اللغة — بأن تبقى عربية الجنس وعربية اللغة (٢)) ولقد قضى الفقيد القسم الأول من حياته مدرساً للغة العربية فى مدارس فلسطين قبل الانتداب البريطانى وبعده ثم سمت به كفاءته فارتقى حتى وصل إلى درجة التفتيش العام للغة العربية فى القطر بأسره . فنهض بها نهضة ارتفعت بها إلى أسمى الدرجات رغم أن حكومة الانتداب البريطانى كانت تقاوم ازدهار اللغة العربية ، وتحول دون تبوئها المكانة اللائقة كلغة قومية فى قطر عربى . ومن مآثره الجليلة فى هذه الناحية كتاب أسماء البستان اختار فيه مقطوعات شعرية ، وكلمات نثرية يستظهرها الطلاب فى مدارس فلسطين الابتدائية والثانوية، وكان موفقاً كل التوفيق فى الاختيار إذ بث فى نفوس الناشئة حب الوطن ، والتطلع للمجد ، والتأهب للوثبة. وله غير بستانه الزاهر رسائل منها كلمة فى اللغة العربية وكلمة فى رثاء أمير الشعراء شوقى بك، وثالثة فى الزعيم إبراهيم هنانو. وآخر مؤلف طبعه كتاب الاسلام الصحيح. ورغم أن إسعاف قد ارتقى إلى ذروة المجد، وتسنم الشهرة فى أفق اللغة والأدب ، فقد كان على جانب كبير من دماثة الخلق ، وحسن الطبع ، وعظم التواضع حتى ليشعر محدثه بأنهما فى مستوى واحد ، والفرق كبير والبعد شاسع . وهو محدث لبق ، والذين أتيح لهم أن يصغوا إليه فى الكونتننتال حين يتوسط الحلقة ، ويدير الدفة يشهدون ببراعة فى الحديث وإجادة فى التعبير. ولقد وقف إسعاف حياته على خدمة العربية لغة القرآن ، وما رأيته إلا قارئا أو خطيباً أو كاتباً أو مدرساً أو مصححاً يستتر بأسماء متعددة ويتخفى بأزياء متباينة لأنه لا يبغى مزيداً من شهرة أو ظهور

والمجلات الشهيرة فى العالم العربى وفى مقدمتها الرسالة فى مصر ومجلة المجمع العلمى فى دمشق زاخرة بأبحاث الفقيد فى شتى النواحى العلمية والأدبية

ولقد كان إسعاف قوى الإيمان ، راسخ العقيدة . فاهماً للاسلام حق الفهم ،القرآن حداؤه وغناؤه ، والرسول الكريم قدوته وفى (خورنقه) (٣) تجد اسم محمد صلى الله عليه وسلم معلقاً أمامه على الجدران فى صور متعددة . يامحمد — أنا عبدك يارسول الله

وتهتز أعطافه عندما يرتل آى الذكر الحكيم ترتيل العربى الصميم الذى أحاط بأسرار اللغة العربية ففهم الآيات الفهم الكامل وأدرك ما ترمى إليه من أهداف ومقاصد ، وهو الذى يقول فى القرآن :

(يا أيها الكتاب المعجز، لقد هلك من يدرك فصاحتك ، ويكتنه بلاغتك ، ويقدرك حق قدرك . لقد هلك من كنت تتلو عليهم آياتك فيدهشون ويخرون سجداً وبكيا . وهل يعرف بلاغتك المرقة البالغة إلا عربى قح صليب لم تشن ملكته العربية من العجمة شائبة ولم تؤذ أذنه كلمة قلقة) (٤)

وبعد فقد عرفت اسعاف عندما استظهرت أول مقطوعة من بستانه فى مدارس فلسطين؛ ثم امتد بى الزمن فالتقيت به وعرفته محدثا ومحاضراً وكاتباً وخطيباً مفوهاً يستحوذ على القلوب ويلعب بالعواطف ، وكان إعجابى به يتزايد وتقديرى له يعظم؛ ولكنى دهشت للجهد الجبار الذى بذله فى إخراج كتابه (الاسلام الصحيح) الذى تفضل باهدائه إلى منذ عشرة أعوام .

لقد أخرجت مطبعة العرب فى القدس هذا الكتاب سنة ١٣٥٤ هـ وقد ذكر فيه المؤلف بعض المراجع ، وأخذت أنا أحصى ذلك البعض فاذا به لا يقل عن مائتى مرجع فى شتى العلوم والفنون من لغة وأدب وتاريخ وملل ونحل وفقه وشريعة وأصول ، ولما

(١) من كلة للفقيد فى اللغة العربية ألقاها سنة ١٩٢٧

٣ — اسم يطلق على قصره المنيف فى القدس

٤ — من كلمة للاستاذ الرشدان عن الفقيد فى الرسالة عدد ٨٢٠

الفارابي في الشرق والغرب

ومكانته في الفلسفة الاسلامية

— تتمة —

للاستاذ ضياء الدخيلي

والحقيقة أن سمو مكانة الفارابي في الفلسفة كان حديث المتقدمين ولم يزل حديث المتأخرين المصريين . قال الأستاذ (أبو ريده) في تعاليقه على كتاب (تاريخ الفلسفة في الإسلام) المستشرق (دى بوير) إذا كان الكندى قد اعتبر فيلسوف العرب تمييزاً له عن أقرانه من الفلاسفة غير العرب فإن الفارابي يعتبر فيلسوف المسلمين بالحقيقة كما يقول صاعد الأندلسي في طبقات الأمم وفيلسوف المسلمين غير مدافع كما يقول القفطي في أخبار الحكماء. أما ابن خلكان فإنه يقول في وفيات الأعيان إن الفارابي كان أكبر فلاسفة المسلمين ولم يكن فيهم من بلغ رتبته. ويقول ظهير الدين البيهقي في كتابه تاريخ حكماء الإسلام المخطوط في دار الكتب المصرية، وكان أبو على تلميذاً لتصانيفه ، وأورد هذا الرأى الشهرزورى أيضاً في كتابه نزهة الأرواح وروضة الأفراح المصور بمكتبة الجامعة المصرية. ويكاد يلمس الإنسان صحة هذا الكلام فيما يفوق الحصر من آراء ابن سينا التي أخذها عن الفارابي من غير تغيير حتى في ألفاظها . ونكاد لا نجد في فلسفته شيئاً إلا وأصوله عند الفارابي. ويقول ديترصي Dieterici في مقدمته لرسائل الفارابي (إن الفارابي مؤسس الفلسفة العربية) [١] والذى يقرأ الفارابي يجد في تفكيره طرافة ونضوجاً وفهماً عميقاً يدل على طول تأمل في الفلسفة. وإذا كان الكندى الفيلسوف العربي كما ألمع (دى بوير) قريب الصلة بالمتكلمين وبالفلاسفة الطبيعيين — ونستطيع أن نعرف هذا من أسماء مؤلفاته — فقد لا نكون بعيدين عن الصواب إذا

(١) مقدمة رسائل الفارابي لديترصي

تصفحت الكتاب وجدت في ثنايا صفحاته مراجع أخرى غير التي ذكرت قبلا فلم أستطع تجاه ذلك المجهود إلا أن أحنى هامتي إجلالا واحتراما لتلك القدرة على الدرس والبحث والاستقصاء التي قلما تتهيأ لكثير من الناس .

ولقد صدر الفقيد ذلك الكتاب الذى نفدت طبعته بمقدمة صغيرة جاءت آية في البلاغة والإعجاز وبرهان صدق على تمسك الفقيه بدينه ، واعتزازه بيقينه ؛ إذ يقول عن الاسلام (الاسلام هو دين الحق . ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ومحمد خير الخلق وهذا الكتاب وهذا الأثر وهذا تاريخ البشر فاقرأ كتاب كل دين وانظر أثر كل عظيم وفتش صحف التاريخ واحكم إن كنت من الحاكين . هات ، هات وهيهات أن تجد مثل القرآن وحياً أو رقيما ، واذكر نظير محمد نبيا أو عظيما إن تذكرت أو تفكرت ونقبت وحققت فمثل القرآن كتاب الله ما أوحى الله وما أنزل ، ومثل محمد (صلى الإله على محمد) فمثل محمد في الدنيا ما كان ومثل محمد في العالم ان يكون) ويتحدث عن القرآن فيقول

الضياء قد بهر إشعاعه في حروف وكلمات ، والكهربية إلهية تسرى في عبارات، والمعجزات - لا الشعبذات - بينات في آيات. والهدى من لدن الله يسير في الأرض مع الناس هادياً ودليلا ذلكم هو القرآن الذى يتلوه القارئون .

محمد دينه التساوى ودينه العدل والنصفة ، فلا شريف ولا مشروف ولا كبير ولا صغير ولا أمير ولا مأمور ولا قبيل أفضل من قبيل ولا قوم خير من (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) والفضل بالفضل والتقديم بالفعل وأن ليس للانسان إلا ما سعى

رحمك الله إمام العربية ، وأمطر على قبرك شآبيب الرحمة والرضوان جزاء ما أسديت للغته وقرآنه .

كامل السوافيري

قررنا أن الفارابى أول فلاسفة الإسلام على الحقيقة وقد كان يحيا حياة الفلاسفة من زهد وانقطاع إلى التأمل

وتذكرنى كلمة (ديبترمى) هذه التى تحدثنا عن إعجاب هذا المفكر الغربى بالطرافة والنضوج والفهم العميق الذى يدل على طول تأمل فى الفلسفة والأمور التى وجدها فى ما دونه الفارابى من الآثار الخالدة — يذكرنى هذا بما قرأته للعقاد فى رسالته عن (أثر العرب فى الحضارة الأوربية) إذ قال إن الآراء الفلسفية التى قال بها أمثال الفارابى والكندى وابن سينا والغزالى وابن رشد وابن طفيل -- لا تعد غريبة كل الغرابة عن مذاهب العصر الحديث لأنها لم تخل عن آراء تكلم فيها أساطين الفلسفة الإسلامية وعرضوا لها إما بالإسهاب أو بالإيجاز)(١) وقد قال العقاد بعد ذلك ومن المشابهات غير البعيدة (أى بين آراء القدماء والعصريين) ما يصح أن يسمى الطور الأول لمذهب التطور (الذى نسب إلى داروين وكتابه أصل الأنواع) وقد عبر عنه الفارابى حيث قال فى آراء أهل المدينة الفاضلة مفسراً لأقوال المعلم الأول إن ترتيب هذه الموجودات هو أن تقدم أولا أخسها ثم الأفضل فالأفضل إلى أن تنتهى إلى أفضلها الذى لا أفضل منه . فأخسها المادة الأولى المشتركة والأفضل منها الأسطقسات (وهى الأصول والعناصر وهى على زعمهم الماء والتراب والهواء والنار) ثم المعادن ثم النبات ثم الحيوان غير الناطق وليس بعد الحيوان الناطق (أى الانسان) أفضل منه . وقد تقدم لديترمى أن اعتبر الفارابى المؤسس للفلسفة العربية ويظهر أن هذا الرأى لم يقتصر على ذلك الكاتب الغربى فقد شاركه فيه بعض المؤلفين فى الشرق فقد جاء فى كتاب (دروس فى تاريخ الفلسفة) فى رأينا أن الفارابى (٩٥٠ م) على الرغم من جهل الناس به هو الأب الحقيق للفلسفة الإسلامية فقد شاد بناءها وألم بأجزائها الرئيسية رابطاً بعضها ببعض ولا نكاد نجد فكرة عند خلفائه إلا ولها أصل لديه ، وكل ما لهؤلاء من فضل غالباً أنهم وضحوا غامضه وفصلوا القول فيما أجمله . ويخيل إلينا أنه أعرف فلاسفة الإسلام بتاريخ الفلسفة لذلك نراه يتحدث من المدارس اليونانية ويبين الفوارق التى تفصل كل واحدة منها عن الأخرى ويحاول التوفيق بين أفلاطون وأرسطوطاليس (فيلسوف اليونان فى رأيه بلا جدال) وقد ألف كتباً عدة بعضها شرح لمؤلفات أرسطوطاليس أو مختصرات لها وبعضها الآخر كتبه ابتداء ليعبر به عن رأيه وبحثه الخاص وما وصلنا من هذه الكتب كاف لتفهم نظريته)(١) وفى كتاب (نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس) أن الفارابى التركى الحكيم المشهور صاحب التصانيف المشهورة فى المنطق والموسيقا وغيرهما من العلوم كان من أكبر فلاسفة المسلمين ولم يكن فيهم من بلغ رتبته فى فنونه (٢) ويقول الأستاذ محمد فريد وجدى فى (دائرة المعارف) الفارابى أبو نصر التركى الفيلسوف المشهور هو أكبر الفلاسفة الإسلاميين له تصانيف عديدة فى المنطق والموسيق وغيرهما من العلوم لم يكن من المسلمين من بلغ رتبته فى فنونه)(٣) وترى تقارب العبارتين فى الصيغة والمعنى والمبنى ، والظاهر أن مؤلف دائرة المعارف أخذ الترجمة من هذا الكتاب أو كلاهما تطفلا على مؤلف ثالث ، وكان العباس بن على بن نور الدين المكى الحسينى فرغ من تأليف نزهة الجليس سنة ١١٤٨ هـ

ويقول الدكتور حسن إبراهيم حسن فى كتابه (تاريخ الإسلام السياسى والثقافى والاجتماعى) ومن أشهر فلاسفة الإسلام أبو نصر ويعتبر أكبر فلاسفة المسلمين حتى لقب بفيلسوف المسلمين بالحقيقة وفيلسوف المسلمين غير مدافع (٤) أما ابن تغرى بردى الأتابكى فى (النجوم الزاهرة) فإنه يورد فيمن ذكر الذهبي وفاتهم فى سنة ٣٣٩ هـ قوله (وأبو نصر الفارابى صاحب الفلسفة)(٥) أما أبو الفداء المتوفى سنة ٧٣٢ هـ فيكتفى أن يقول فى تاريخه وفى هذه السنة توفى أبو نصر

---

٢ ــ أثر العرب فى الحضارة الأوربية

١ ــ دروس فى تاريخ الفلسفة للدكتور ابراهيم بيومى ورفيقه

٢ ــ نزهة الجليس

٣ ــ دائرة المعارف لفريد وجدى

٤ ــ تاريخ الاسلام السياسي والثقافى والاجتماعى

٥ ــ النجوم الزاهرة

الفيلسوف ثم يتحدث عنه وعن دراسته وأسلوب حياته وأشياء أخرى (١) ولكنه لا يهبه تلك الألقاب الضخمة التي يضفيها عليه من ذكره من المؤلفين الآخرين. ويقول ابن النديم من القرن الرابع في (الفهرست) (أبو نصر . . من المتقدمين في صناعة المنطق والعلوم القديمة (٢) وجرجي زيدان من المتأخرين يقول عن الفارابي في كتابه (تاريخ آداب اللغة العربية) (وكان فيلسوفاً كاملا درس كل ما درسه من العلوم وفاق في كثير منها وخصوصاً المنطق) ويقول الزركلي في (الأعلام) الفارابي ويعرف بالمعلم الثاني أكبر فلاسفة المسلمين. ويقول ابن الأثير في الكامل) (وفيها توفى الفارابي الحكيم الفيلسوف صاحب التصانيف فيها) ويقصد إعادة الضمير من (فيها) إلى الفلسفة المفهومة ضمناً. ويحدثنا ياقوت الحموى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ في (معجم البلدان) وإليها (إلى فاراب) ينسب أبو نصر الفارابي الحكيم الفيلسوف صاحب التصانيف في فنون الفلسفة (٣)

وهنا نلاحظ أن ياقوتا الحموى وابن الأثير وغيرهما يذكرون في التعريف بالفارابي أنه صاحب التصانيف في فنون الفلسفة فلابد أن تكون لفيلسوف المسلمين جملة مؤلفات ولكن المتداول والمعروف منها شيء زهيد لا يثير الكاتب عن الفارابي لأن ينعته ويعرفه بأنه صاحب التصانيف في فنون الفلسفة. ثم إن مؤرخى حياته يقولون إنه كان يقضى حياته بين الأشجار يكتب. إذن فهو مواظب دائب على الكتابة والتأليف منقطع عن الناس منعزل قد توفر وكرس وقته للكتابة وذلك يقتضى أن يكون كثير الإنتاج فأين ذهبت آثاره؟ لا شك في أنه كان له جملة كتب ومؤلفات ضاعت من العالم الإسلامي فيما ضيع من كتب علمائه وفلاسفته بتأثير النكبات وغزوات التتار

والحروب والفتن الداخلية وقد لاقت كتبه مقاومة عنيفة من الغزالي وأنصاره ومن ابن تيمية وأتباعه ومن الحنابلة الذين لعبوا في بغداد أدواراً مهمة في اضطهاد الفلسفة. ويؤيد ما تقدم من ضياع كثير من مؤلفات الفارابي ما وجدته في كتاب (فصول الحكماء) إذ روى مؤلفه السيد محمد أبو الهدى الصيادى الرفاعى عن البيهق أن للفارابي كتباً كثيرة يجهلها الناس وقد قال إن العلامة ظهير الدين البيهق رأى في خزانة نقيب النقباء بالرى كتباً كثيرة من مؤلفات الفارابي لم تطرق سمعه وهي بخط الفارابي) وهذا مما يؤيده العقل إذا رجع إلى الأسباب المتقدمة

والحق أن الناس قد تحدثوا كثيراً عن مكانة الفارابي في الفلسفة. قال الأستاذ مصطفى عبد الرازق يقولون الحكماء أربعة: اثنان قبل الإسلام وهما أفلاطون وأرسطو، واثنان في الإسلام وهما أبو نصر الفارابي وأبو على ابن سينا. وكان بين وفاة أبي نصر وولادة ابن سينا حوالى ثلاثين سنة. وكان أبو على بن سينا تلميذاً لتصانيف الفارابي يعترف أنه لولاها لما اهتدى إلى فهم ما بعد الطبيعة. وكما لقب أفلاطون بالحكيم الإلاهى وأرسطا طاليس بالمعلم الأول لقب الفارابي بالمعلم الثاني وابن سينا بالشيخ الرئيس. وآراء الناس مختلفة في تقديم الفارابي أو ابن سينا. يقول ابن خلكان عن الفارابي (هو أكبر فلاسفة المسلمين ولم يكن منهم من بلغ رتبته في فنونه والرئيس أبو على بن سينا القدم ذكره بكتبه تخرج وبكلامه انتفع في تصانيفه) أما الشهرستاني فيقول عند الكلام على فلاسفة المسلمين (ومنهم الفارابي وإنما علامة القوم أبو على بن سينا) فهو إذن يقدم ابن سينا على من اعتبره ابن خلكان أستاذه

وهذا ابن سبعين الفيلسوف الصوفى الأندلسي الذي يقال إنه انتحر بمكة شوقا إلى الاتصال بالله سنة ٦٦٩ هـ يقول في كتاب له مخطوط ما نصه نقلا عن المجموعة التي نشرها الأستاذ ماسنيون المستشرق الفرنسي المعروف (وأما الفارابي فقد اضطرب وخلط وتناقض وتشكك في العقل الهيولاني وزعم أن ذلك تمويه ومخرقة ثم شك في النفس الناطقة هل تعزيها الرطوبة أو حدثت بعد وتنوع اعتقاده في بقاء النفوس بحسب ما ذكر في كتاب الأخلاق وكتاب المدينة الفاضلة والسياسة المدنية وأكثر تآليفه في المنطق وعدة كتبه نحو خمسة وسبعين كتاباً وفيها من الإلاهيات تسعة وهذا لرجل أفهم فلاسفة الإسلام وأذكرهم للعلوم القديمة وهو الفيلسوف فيها لاغير، ومات وهو مدرك

---

١ – تاريخ أبي الفداء
١ – فهرست ابن النديم
٣ – جرجي زيدان والزركلي وياقوت الحموى

ويحقق وزال عن جميع ما ذكرته وظهر عليه الحق بالقول والعمل ولولا التطويل لذكرت ذلك مفصلا (١) هذا ما يقوله ابن سبعين وقد تناول بالنقد اللاذع بل بالتحقير الشنيع ابن سينا والغزالي وابن رشد

إلى هنا نقف لنعود في القريب العاجل لنعرض لقراء الرسالة الكرام صفحات رائعة لأثر فلسفة الفارابي في العقل البشري فنستعرض سياحة الفارابي في أوربا ونشهد الموجات العنيفة الثورة التي صدمت هذا الفيلسوف فنستعرض الفارابي تحت مطارق خصومه في الشرق والغرب فإلى الملتقى

بغداد — ضياء الدخيلي

١ – فصول الحكماء
٢ – المعلم الثاني
٣ – مجموعة ماسنيون

ذكرى الشاعر الثائر

معروف الرصافي

للأستاذ حمدي الحسيني

السيد معروف الرصافي رحمه الله شاعر عربي فحل، ولد في العراق ونشأ فيه، اشتغل بالتعليم في العراق والآستانة والقدس ودخل مجلس النواب العثماني نائبا عن متصرفيه – المنتفك – من أعمال العراق. عاصر عبد الحميد واكتوى مع الشعوب العثمانية عامة بنار مظالمه، فتألم لشدة وقع تلك المظالم ولكنه لم ينطو على ألمه شأن المستضعفين من الناس الذين يقع الظلم على رؤوسهم فيطأطئون تحته صاغرين، وينصب الأذى على نفوسهم فيحتملون الأذى خاضعين، بل ثار على الظلم ثورة عنيفة صاخبة وقاوم الأذى بمقاومة قوية صارخة. وقد شهد الانقلاب العثماني وسقوط الجبار عن العرش، فثارت الحمية في نفسه وصاح في وجه الجبار بصوت مهدج جهوري يحمل كل عواطف إرواء الغليل وشفاء الصدر، ورأى طالعة الدستور البهية مشرقة على الإمبراطورية العثمانية فكبر وهلل ورحب بالدستور ترحيب الصب المستهام وتغنى بحسناته بأعذب الأنغام.

خاطب الاتحاديين وهم في منصة الحكم وفي ظل الدستور فأطرى ومدح، وعندما جنحوا عن المحجة صاح في وجوههم غاضبا مؤنبا عاتبا ممتعضا. ورأى توثب العرب للنهضة وتحفزهم للنضال في سبيل الحرية فأحس بإحساسهم ومشى في صفوفهم يثير في نفوسهم ما كمن من القوة ويحرك في عواطفهم ما خمد من الانطلاق والحركة. واتصل بالملك العربي بالشام والعراق وبالحركات الوطنية في العراق وسوريا وفلسطين فابتأس وتنعم وبكى وتبسم

والرصافي كما عرفناه في القدس بالمباشرة، وفي شعره بالسماع والمطالعة، عميق الشعور حاد الذكاء مرهف الحس ثائر النفس قلق العواطف مكبوت الرغبات، وهو على علمه وفضله وعلو كعبه في اللغة والأدب وعلى سبقه في الحركة العربية القومية وجليل أثره في ميدان الكفاح في سبيل الحرية والاستقلال كان يعيش في ضنك من الحياة وبؤس في العيش ولكن هذا الضنك وهذا البؤس لم يؤثرا على عزة نفسه ولم يسلماه لغير الكرامة وعلو الهمة. وكثيرا ما كان يتمثل بهذا البيت: –

تعود كل بؤسها ونعيمها ... وعشنا على بؤس ولم نتعود

وكل ما فعل الفقر في نفس الرصافي هو الكبت: فقد كبت الفقر (وإن شئت فقل الشعور بالنقص) غريزة التغلب والسيطرة فانكبتت هذه الغريزة القوية العنيفة فأقضت عليه مضجعه وزلزلت أركان حياته، حتى هدته المعرفة إلى ما تعانيه الأمة العربية من آلام القهر والخضوع، فرأى في قهرها صورة لسلطته المقهورة فدفعه هذا التشابه إلى التفكير في الغير بدل التفكير في الذات تخفيفا لألم الكبت. فراح الرصافي بعد هذا الانتقال النفسي يصف ما تلاقي الأمة العربية من ألم الخضوع لظلم المستبدين من الحكام، ومرارة الانقياد لسلطان الجهل وحكم العادات الضارة والتقاليد السقيمة. وهو بهذا إنما يصور رغبته في الحرية الاجتماعية والسياسية، ويضع خطط الوصول إلى هذه الحرية لتطبقها الأمة في نضالها. ومن حسن حظ الأمم المستضعفة أن يكون بين أفرادها أمثال الرصافي ممن كبتت فيهم رغبة الحرية ووهبهم الله قوة البيان سلاحا يقتلون به عدو الأمة وعدوهم. فهؤلاء المكبوتون في الأمم الخاضعة المقهورة

كالحرارة فى الأجسام والنور فى الظلام والحد القاطع فى شفرة الحسام ، احس الرصافى بالظلم الواقع على الأمة العربية من قبل السلطان عبد الحميد وحكومته المؤلفة من أوباش الناس ، ورأى الخضوع لهذا الظلم باديا على الأمة العربية بدواشاتنا مميبا وهى الأمة العريقة فى الحرية والاستقلال والعزة والكرامة فتأذى بهذا الظلم وبرم بهذا الخضوع فنظم قصيدة سماها « تنبيه النيام » بدأها بالتساؤل عن الوقت الذى تنتبه فيه الأمة العربية فتدفع عن نفسها الأذى وتسترجع حقها المسلوب ويبدى تعجبه لصبرها على الضيم وبقائها على الظلم .

عجبت لقوم يخضعون لدولة ... يسوسهم بالموبقات عميدها
وأعجب من ذا أنهم يرهبونها ... وأموالها منهم ومنهم جنودها

ولكن ما قيمة التألم فى هذا المرض . نخير منه توجيه الأمة إلى الهدف ، وأى هدف أحلى من الحرية فى نظر الأمم المستعبدة

ألا إنما حرية العيش غادة ... منى كل نفس وصلها ووفودها
يضىء دجنات الحياة جبينها ... وتبدو المعالى حيث أتلع جيدها

أخذ الرصافى يقذف بحممه فى وجه الظالم المتربع على العرش ويهدى باقات عواطفه العطرة لأمته الخاضعة فينعشها ويغذيها ويحفزها . حتى حدثت فى نجد حوادث دامية بين ابن الرشيد حليف السلطان وابن السعود خصيمه فاهتبل السلطان الفرصة وساق على المتخاصمين جيشاً عربيا من العراق ليفك الخصام فى الظاهر وليمين ابن الرشيد على ابن السعود فى الباطن فاشتبك الجيش مع المتخاصمين وكلهم عرب ، فجرت الدماء حتى صبغت رمال الصحراء تحقيقا لرغبة السلطان الذى أراد أن يضعف من قوة العرب بقتل زهرات شبابهم من الحاضرة والبادية ويباعد بين صفوفهم بتقوية البغضاء والعداوة بين أمرائهم وقادة الرأى فيهم فقام الرصافى لهذا الحادث وقعد، برق ورعد، ونظم قصيدة سماها « إيقاظ الرقود » خاطب بها العرب ووضع أمامهم ما أراد السلطان بسوق الحملة العربية على الأميرين العربيين فى قلب الجزيرة العربية

حكومة شعبنا جارت وصارت ... علينا تستبد بما أشارت
فلا أحداً دعته ولا استشارت ... وكل حكومة ظلمت وجارت
فبشرها بتمزيق الحدود

ولم ينس الرصافى فى هذا الموقف أن يوجه إلى الأميرين المتقاتلين أقسى عبارات اللوم والتعنيف على ما ارتكبا من الأعمال التى تتنافى مع مصلحة الأمة العربية ، وأخذ يستعرض ما أصاب الجنود العرب من قتل وفشل فى تلك المعركة المشؤومة وحاشا للرصافى أن ينسى عبد الحميد فى هذا الموقف وهو منبع الآلام الجسام والمصائب الضخام

أقول وليس بعض القول جدا ... لسلطان تجبر واستبدا
تعدى فى الأمور وما استعدا ... ألا يا أيها الملك المفدى
ومن لولاه لم نك فى الوجود

أنم عن أن تسوس الملك طرفا ... أنم ما تشتهى زمراً وعزفا
أطل نكر الرعية خل عرفا ... سم البلدان مهما شئت خسفا
وأرسل من تشاء إلى اللحود

فدتك الناس من ملك مطاع ... أبن ما شئت من طرق ابتداع
ولا تخش الاله ولا تراع ... فهل هذى البلاد سوى ضياع
ملكت، أو العباد سوى عبيد

تنعم فى قصورك غير دار ... أعاش الناس أم هم فى بوار
فإنك لم تطالب باعتذار ... وهب أن الممالك فى دمار
أليس بناء (يلدز) بالمشيد

ظل الرصافى على هذه الحال تغلى عواطفه فى صدره بمقاومة الظلم وتتطاير قذائف حقده على الاستبداد والخسف بنظم القصيدة فى بغداد ويرسلها للنشر فى مصر حتى تم الانقلاب العثمانى وسقط عبد الحميد عن العرش فصاح بصوت جهورى

قنا على الملك الجبار نقرعه ... بالسيف منصلتا والرمح مهزوزا
حتى تركناه فى هيجاء ممضلة ... ألقت ضراما على الطاغين مأزوزا
إنا لنأبى على الطاغى تهضمنا ... حتى نهوز فى الهيجاء تهوزا
ونأكل الموت دون العز نمضغه ... كمضغنا التمر برنيا وسمريزا
لا عاش من لا يخوض الموت مرتضيا
بقاءه بمعنى الذل مركوزا

صاح الرصافى صيحته فى وجه الجبار الهاوى عن العرش والتفت يتغنى بالحرية والعدالة والمساواة ويشيد بذكر الدستور وأبطال الانقلاب غير مفرق بين عنصر وعنصر من مجموع العناصر العثمانية حتى رأى الاتحاديين يبيتون ضد العرب ورأى

من مجالس الأدب

أديب يتعاظم...!

الأستاذ محمد رجب البيومي

إلى الأستاذ محمد كرد على

قرأت المقال الذى نشره الأستاذ الحومانى بأحد أعداد الرسالة تحت عنوان « هؤلاء كلاب » فرأيت أن أعرض عليك ما سبق أن قاله أحد أدباء القرن السادس الهجرى فى زملائه لتكون على بينة من أخباره ، ولن أفترى على الرجل فأنطقه بما لم يقل ، ولكنى تقيدت بما روى المؤرخون عنه ، وها أنذا أضع بين يديك المراجع التاريخية ، فأنت رجل معاجم وفهارس

وتقبل فائق احترامى   م . ر البيومى

(ياقوت الحموى يتوجه إلى مسجد الخضر فى آمد ، ويقابل شيخ أدبائها على بن الحسن بن عنتر بن ثابت الشهير بشميم الحلى ويدور بينهما الحديث التالى)

ياقوت : السلام عليك ياسيدى الجليل

شميم : عليك السلام ورحمة الله ، من أنت ؟

ياقوت : أنا ياقوت الحموى جئت إلى آمد اليوم ، فوجدت حديثك على كل لسان ، وسمعت المدح ينثر عليك بدون حساب ، فرأيت أن أحظى بمقابلتك ، وأنهل من معينك الفياض

شميم : كأنك لم تسمع بى إلا حين جئت إلينا اليوم ، مع أن مؤلفاتى المديدة قد تناقلها الناس فى الآفاق ، وذاع حديثها فى أنحاء حلب وبغداد وخراسان .. !

ياقوت : لا يامولاى فقد سمعت الكثير عن أدبك وإنتاجك ، ولكنى حين نزلت آمد ، ولمست إعجاب الناس بك ، تذكرت ما أعرفه عنك ، وهرعت إلى لقائك ، راغباً فى الاستفادة والتوجيه !

شميم : إننى كما تعرف ، متنوع الثقافة ، متشعب المعارف ، ففى أى فن تريد أن يجرى الحديث ؟

العرب ينتبهون للأمر فيطلبون حقهم فى الإصلاح وحقهم فى الاستقلال الذاتى فكشر فى وجه الاتحاديين وأقبل على العرب يحضهم على طلب الحرية وبذل الثمن لهذه الحرية التى لا تذوق أمة طعم السعادة بدونها ولا يصل إليها شعب إلا بدماء المهج ، فنظم قصيدة سماها (فى معرض السيف) يؤيد بها الحركة الإصلاحية فى بيروت ويدعو جميع العرب إلى الانضمام إليها

تى التى كثغور الغيد تبتسم   إذا تطرتها الصمصامة الخذم
دع الأمانى أو رمهن من ظبة   فإنما هن من غير الظبا حلم
والمجد لا يبتنى إلا على أسس   من الحديد وإلا فهو منهدم
والحق لا يجتنى إلا بذى شطب   ماء المنية فى غربيه منسجم
فللحسام صليل يرتمى شرراً   مفتقاً أذن من فى أذنه صمم
وإنما العيش للأقوى فمن ضعفت
أركانه فهو فى الثاوين مخترم
والمجد يأتل حيث البأس يدعمه
حتى إذا زال زال المجد والكرم

ومن حسنات الرصافى الإحاطة بجميع النواحى المهمة من حياة الأمة العربية ولا سيما نواحى الوحدة التى تستمد منها قوتها فى نضالها فوجه إلى إخواننا المسيحيين قصيدة عصماء سماها – فى سبيل الوطن – اعلن فيها أن عناصر الوحدة بين العرب هى اللغة والوطن والإيمان بالله

إذا جمعتنا وحدة وطنية   فماذا علينا أن تعدد أديان
إذا القوم عمتهم أمور ثلاثة   لسان وأوطان وبالله إيمان
فأى اعتقاد مانع من أخوة   بها قال إنجيل كما قال قرآن

ولنسمع الآن هذه الصيحة القوية المدوية يرسلها الرصافى من أعماق نفسه فترددها نفوس العرب الذين ربط الاتحاد القوى بين قلوبهم

فمن مبلغ الأعداء أن بلادنا   مآسد لم يطرق ذراهن سرحان
وإنا إذا ما الشر أبدى نيوبه   رددناه عنا بالظبا وهو خزيان
سنستصرخ الآساد من كل مربض   فنمشى إلى الهيجاء شيباً وشبان
أسود وغى تأبى الحياة ذميمة   وتلبس بالعز الردى وهو أكفان
ومقاحيم تصلى الممان مشيمة   إذا احتدمت فى حومة الحرب نيران
وتكسو العراء الرحب مسح عجاجة   يعج بها السيف الردى وهو عريان
سننهض للمجد المخلد نهضة   تقر بها حوران عيناً ولبنان
وتمتز من أرض الشآم دمشقها   وتهتز من أرض العراقين بغدان
وتطرب فى البيت المقدس صخرة   وترتاح فى البيت المحرم أركان
ونحن للعرب الكرام عواقب   فيحمدها مفت ويشكر مطران

حمدى الحسينى

ياقوت : لقد شغفت بالأدب ورواية الشعر والتاريخ وإنني لأرجو أن أنقع لديك الغليل

شميم : أنظر أمامك ، فهذا صوان ضخم ملئ بالكتب الأدبية التي ألفتها من ذاكرتي دون أن أستعين بمؤلفات أحد ، فهل شاهدت في رحلاتك الستهبة من له هذا القدر من التأليف ؟

— هذا مجهود كبير يامولاي ، ولكنه غير مستغرب من أديب كبير عكف على الأدب والشعر حقبة من الزمن ، ولعلك تخبرني عن طريقتك في التأليف ، وكيف تختار المواضيع التي تدبج فيها القول ، حتى اتفق لك هذا التراث الثمين

— أنا لا أطرق الأبحاث المهينة المريحة ، التي يعمد إليها جمهرة المؤلفين ، ولكني أعمد إلى المعجز المعيي من آثار السابقين فأعارضه بما أراه ، فتكون معارضتي ماحقة ساحقة ، وأنت تعلم ما ذاع عني من القدرة والإبداع ! !

— لقد قرأت بعض معارضاتك ، ولكن اختلاف الأيام قد أفسد الذاكرة وشتت الانتباه ، فهل لي أن أعرف منك من عارضتهم من البلغاء لأسجل ذلك فيما بين يدي من أوراق

— لقد رأيت الناس يعجبون بأبي تمام وهو حقير قدم ، إذا قيس بي ، سمعت بعض الثناء على حماسته التي جمعها من أشعار الناس ، فأردت أن أخله بحماسة جمعتها من شعري الخاص ، ولم أستجد الشعراء الآخرين كما فعل ابن أوس الذليـــل ، فجاءت حماستي ضرباً من السحر الحلال

— هل لك أن تسمعني بعض خرائدها الجياد ؟

— حماستي مشهورة معروفة فسل عنها الناس ، وأظنك ستتجاوز حدود الأدب في السؤال !

— معاذ الله أن أتجاوز الحد معك أيها السيد الجليل ، ولكني ظامئ إلى المعرفة والعلم ، وقد قدمت بلدتك من أجلك وحدك ، فكيف أخرج منها خالي الوفاض؟

— أعرف تماماً أنك جئت إلى آمد لتزورني ، فليس بها من تشد إليه الرحال سواي ، ولن أسد في وجهك الطريق فسلني عما تشاء

— سأترك الكلام في أبي تمام كيلا تغضب علي ، وأحب أن أسألك عمن عارضتهم من الشعراء سواه

— لقد عارضت الكثيرين غير حبيب ، فأبو نواس قد نظم في الصهباء قصائد عامرة سارت مسير الشمس ، وظن الناس أنه لم يدع شيئاً لغيره ، فتصديت له معارضاً ، فأسقطت معجزته من يده ، ونظمت في الخمر عقوداً بديعة ، تحلى بها الرواق ، فلو عاش ابن هانئ لاستحيا أن ينظم شعراً بعد الآن

— أخاف أن تتهمني بفساد الذوق ، إذا طلبت بعض خمرياتك أيها الطائر الصداح

— لن أقول لك شيئاً بفمي ، فأنا أعظم من أن أنشد الناس ، ولكن خذ هذه الصحيفة واقرأ ما بها من الخمريات

ياقوت يتناول الصحيفة ويقرأ

امزج بعسبوك اللجين ذهباً حكته دموع عيني
كانت ولم يقدر لشي ء قبلها إيجاب كوني
وأحالها التحريم لما شبهت بدم الحسين

يقاطعه شميم فيقول :

— مارأيك في هذا القريض ؟

— أحسنت يامولاي غاية الإحسان!

— (في انفعال) ما عندك غير الاستحسان ! ! تبا لهذا الزمن الجاحد أنا مخطئ إذ أسمع البهائم أشعاري الجياد

— معذرة أيها السيد، فقد اعتدت أن أقول لمن ينشئ الشعر الجيد ، أحسنت ، وهأنذا قد قلت ، فماذا أصنع لأعبر عن إعجابي بشعر مولاي

— نعم تقوم وتصنع مثل ما أصنع ، « ثم يقوم من مكانه ويدور في المسجد ويصفق في تيه وإعجاب »

— لقد تعلمت منك ما يجب أن يصنعه المستحسن ! ! ولكن الضحك يأخذ على سبيل الكلام ، فهل أضحك يامولاي

— لم تضحك أيها الأحمق في مجلسي الوقور ؟

— كنت سمعت عنك نادرة ظننتها مختلقة عليك ، وهأنذا أصدقها الآن

— ماهي النادرة يامجنون ! !

— حدثني أبو البركات سعيد الهاشمي أنك جئت قديماً إلى حلب ، فقدم عليك في ملأ من صحبه ، فأنشدتهم بعض قصائدك فاستحسنوها غاية الاستحسان ، فغضبت كثيراً ، وقمت إلى أحد أركان المنزل ، ونمت على ظهرك ثم رفعت رجليك إلى الحائط ولم تزل ترتفع شيئاً فشيئاً حتى وقفت على رأسك . وقلت هكذا تشكر النعمة ، بأن يقف الإنسان على رأسه لا على قدميه ،

وأمرت الحاضرين بأن يصنعوا ما صنعت ! !

— نعم فعلت ذلك لأفهمهم طريقة الاستحسان .. ثم ما هي المناسبة التي جعلت أبا البركات الحقير يحدثك بهذه النادرة ، وقد طمسها الزمان

— لقد كنا بحلب ، ومرت بعض الجنائز ، وبها نسوة يلطمن الوجوه ، وينحن بكلمات حزينة ، ويأتين بحركات عجيبة ، فقال القوم : إن هذه الحركات منقولة عن مولاي ، وإن نواح النائحات قد ألفه سيدي شميم !! وخاض الناس في غرائبك البديعة فذكر أبو البركات نادرته عنك ، وهي تحفة بديعة ستدور بها الأسمار !

— هذا الكلب صادق فيما قال ، وقد نسي أن يسمعك النواح العجيب الذي صنعته واخترت له رويا محكما ووزناً مرناً ، وإذا رجعت إلى حلب مرة ثانية فسل عنه الأدباء

— أعجب كيف شغلت نفسك بالنادبات النائحات وأنت غارق في أبحاثك دون أن تجد الوقت لهؤلاء !

— لقد كنت مع تلاميذي ذات صباح بحلب ، فمرت بنا جنازة يندب فيها النساء في غير حرارة وحسرة ، كما يجب أن يكون ، فأخذتني الحمية ، وأمرت من معي من التلاميذ ، فوقفوا صفين حولي ، ولطمت خدي ، فلطموا خدودهم مثلي ، ووضعت نواحاً يرتلونه فأذن الله وتناقلته النادبات في جميع البلاد!

— أنت يامولاي مبدع في كل أمورك ، وأخشى أن يبتعد بنا الحديث عن الأدب والشعر ، فهل تكمل حديثك مع أبي نواس ؟

— إن فضلي على هذا الكلب واضح بين ، فإني لم أذق الخمر طيلة حياتي ، ووصفتها بما أعجز المدمنين المشاق ، أما اللعين أبو نواس فقد عب من الخمر دناناً مترعات ، وكان شعره هراء بدداً إذا قيس بشعري الممتاز

— إذا كنت لا تشرب الخمر ، وأجدت فيها القول ، فكيف بك لو تكلمت في الزهد والحكمة كأبي العلاء ، مع أنك اصطليت بما للزهد والحكمة من ضرام .

— من ذلك الكلب الأعمى الذي تذكره في مجلسي الآن ، إن المعري لايوزن بنعلي ، فكيف تطمع أن أعارضه بشعري الخلاب !

ياقوت مندهشاً :

المعري كلب حقير ! سبحان الله يامولاي ! لقد ذكرتني بأبي نزار ، ملك النحاة

— هذه جريرة ثانية ، إذ كيف أذكر برجل كل صناعته النحو ، أما أنا فكاتب شاعر راوية إخباري محدث لغوي مؤرخ ! هل عزب عنك عقلك يامجنون ؟

— ذكرني به لشيء واحد يامولاي ، فقد كان لايذكر أمامه نحوي مثله إلا قال عنه ما قلت في أبي العلاء ، وقد خاض ذات يوم في ذكر زملائه النحاة فجعلهم جميعاً كلاباً ، فقال له بعض الحاضرين : إذن أنت ملك الكلاب لا النحاة ، فكأنما ألقم بحجر فاه !

— ملك النحاة معذور في سبه الناس ، فقد ابتلي بمخالطة الأوشاب والرعاع فوصفهم بما يستحقون .. دعنا منه ، وتكلم فيما جئت من أجله دون انتظار

لم أجئ إلا لأسألك عن مؤلفاتك ، وقد ذكرت لي معارضتك لأبي تمام وأبي نواس ، فمن غيرهما من الذين نكبوا بمعارضتك على غير ميعاد

— لقد رأيت استحسان الناس لجناس البستي ، فألفت كتاباً في التجنيس ، أسميته «أنيس الجليس» وخذ هذه الصحيفة واقرأ ما يقع عليه بصرك دون اختيار

(يتناول ياقوت الصحيفة ويقرأ)

ليت من طول بالشـ ـام ثواه وثوى به
جعل المودة الزو راء من بعض ثوابه

يقاطعه شميم ويصيح : اسجد الآن، اسجد الآن !

— لماذا أسجد يامولاي ؟

— هذا موضع من مواضع السجدات في الشعر ، وأنا أعرف الناس بتلك المواضع فلا تخالف أمر مولاك

يسجد ياقوت ثم يلقي الصحيفة ويسأل :

— ومن غير أبي تمام وأبي نواس وأبي الفتح البستي قد نكب بمعارضتك أيها السيد الجليل ؟

— هل سمعت الخطباء يرددون على المنابر خطب ابن نباتة في دمشق وحلب وبغداد ؟

— نعم يامولاي

— لقد عارضت هذا المتشدق بخطب قوية مدهشة ، فليس

للناس حديث غيرها الآن

— معذرة ! فلم أحظ بسماعها . ولعل لديك سفراً يجمعها وأسعد بقراءته ردحاً من الزمان

بعد شميم يده ويعطيه ديوان الخطب ، فيقرأ ما وقعت عليه عينه ويسمع صاحبه قوله:

الحمد لله فالق حب الحصيد بحسام سح السحب ، صابغ خد الأرض بقانى رشيق المشب ، محيي ميت الأرض بإماتة كالح الجدب ، لابتسام ثغر نسيم أنفاح الخصب ، أحمده على ما منح من موضح بيان بما ألب فى سوداء لب »

ويلاحظ شميم تلكؤ ياقوت فى القراءة فيصيح منفعلا

— ما للبهائم والأدب ؟ دع السفر أيها الأعجم البليد ، هل مررت على الموصل فأخذت منها البلادة والغباء ؟

— معذرة يامولاى، فقد ثقلت التراكيب ، ولم يجد اللسان نافذة للاسترواح فتمتر به المنطق ... وضل الإجادة فى الإلقاء.

— قلت لك هل مررت على الموصل فأخذت منها الفهاهة والبلادة ؟ فلم أظفر بجواب !

— أنا مضطر لمخالفتك الرأى فى أهل الموصل فهم كما أعتقد، ألبة أذكياء.

— وما معرفتك بالذكاء واللب ؟ لقد ناقشتهم وخبرتهم ، فعجبت كيف خلقهم الله، ووالله لو قدرت على خلق مثلهم ماخلقتهم على الإطلاق

— للمرة الثانية تذكرنى بأبى نزار ملك النحاة !

— ولأى شىء ذكرتك به الآن ؟

— أنت تسب أهل الموصل، وهو يسب أهل الشام ، وكلاكما لا يعترف بإنسان ، فجميع الناس كلاب رعاع ...

ـ لى العذر إن شتمت جميع الناس ، فهم لايفرقون بين الدر والبعر ، وملك النحاة معذور أيضاً ، وإن كان يخاف الناس فلا يجاهر بسبهم كما أفعل الآن

ـ هو مجاهر مثلك يامولاى ، وقصته مع نور الدين زنكى قد عرفها كل إنسان يقطن بلاد الشام !

ـ لم أشغل ذهنى قبل الآن بأبى نزار فأعرف قصته مع نور الدين ، ومع ذلك فاسردها على بإيجاز

ـ لقد خلع نور الدين عليه حلة سنية ، ومر فى طريقه فرأى حلقة بها تيس يدربه إنسان ، فقال المدرب لتيسه ، إن بحلقتى رجلا عظيم الشأن بابه الفكر ، فأين مكانه ،فشق الحيوان الحلقة ووضع يده على ملك النحاة ، فلم يتمالك نفسه وخلع عليه حلة نور الدين ، وعلم الملك فعاتبه ، فقال ملك النحاة ، إن بهذه المدينة أكثر من مائة ألف تيس فما عرف قدرى غير هذا الحيوان فخلعت الحلة عليه فى ارتياح

ـ أصاب ملك النحاة فأهل الموصل كأهل الشام فى الدناءة والحطة ، وقد كنت أشرح لهم القاعدة الملغية ، وأقرأ النص الأدبى موضحاً محللا فما يستفيدون شيئاً منى ، فمن ذا يلومنا على احتقار الدهماء !

ـ كلامك رفيع يامولاى،فالموصليون معذورون إذالم يفهموه

ـ اسمع يابنى ليس فى الوجود إلا خالقان ، فواحد فى الأرض وواحد فى السماء ، فالله فى السماء ، وأنا فى الأرض كما ترانى الآن

ياقوت ينظر إليه مندهشاً

شميم : هذا كلام لاتفهمه أنت ولا العامة ، ولكنك لاتنكر مقدرتى على خلق الكلام

ـ اعفنى من هذا الحديث يامولاى،فلست من علماء التوحيد فأعلم من الذى يخلق الكلام ؟

ـ إذالم تسر المناقشة كما أريد فلن أتحدث معك فى علوم الأدب على الإطلاق !

ـ لن نتحدث فى الأدب كما تريد يا مولاى ، وسأسألك سؤالا يتعلق بك ، فأنا رجل محدث ، وإن لم تكن بالمحدث جراءة مات بغصته ، فهل تأذن بالجواب؟

ـ اذكر السؤال أولا ولى الحق فى قبوله أو رفضه كما أشاء

ـ لم سماك الناس « شميما » مع أن اسمك الحقيقى على يامولاى؟

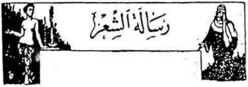
ـ لقد مكثت مدة من عمرى لا آكل غير الطيب ، لأخفف الرطوبة ، وأقوى الذاكرة ، وكان الغائط يمتنع عنى بضعة أيام ، فإذا جاءنى كان أشبه ببندقة من الطين ، فكنت آخذه وأقول لمن يجلس منى « شمه ، شمه » فإن له رائحة طيبة ، فكثر ذلك حتى غلب على ولقبنى الناس بشميم

ـ حسبك يا مولاى ، فأنا أريد أن أسجل جميع ما سمعته منك ، ولو طال بنا الحديث لعجزت عن حصره ، وستكون تسميتك هذه مسك الختام

ـ لقد أمتعتك بحديثى ، وهو لا يباح لكثير من الناس ، فاشكر ربك على فضله ، فالأمر كما قال أبو العلاء

وكم عين تؤمل أن ترانى   وتفقد عند رؤيتى السوادا

« المنصورة »   **محمد رجب البيومى**



من أعباد باريس :

أشواق ...

للاستاذ عبد القادر رشيد الناصرى

يا « هناى » ليلنا خمر وزهر وغرام
وطيوب تشمل الروحان منها وهيام
ونشيد كلما غنى به العشاق هاموا
ولواء رف بالرفق على الناس فناموا

* * *

فاقبلى كالطيب كالأنسام فى الروض الأغن
واستظلى بجناحى وتنامى بين جفنى
واحلمى يا فرحتى الكبرى بحبى المطمئن
هل سوى ذاتك ذاتى، هل سوى لحنك لحنى

* * *

سائلى النسمة هل مرت على شىء عدانا
وهل البلبل فوق الأيك غنى لسوانا
وهل الوردة فاحت بالشذى لولا هوانا
نحن لو تدرين نجوى والأغاريد صدانا

* * *

أين من « باريس » ليلات كنسيان نديه
وسويعات لقاء فى مغانى الأعظميه(١)
إذ طويناها كما شاء لنا الحب سويه
أترى ترجع أطياف هوانا الذهبيه

* * *

أترى مجلسنا الضاحك فى « الكرخ » يعود
مثلما كان وتزهو عند لقيانا الورود
نشتكى لليل، والشهب على الشكوى شهود
أم ترى نبقى « بباريس » ويطوينا الوجود

* * *

أترى تبصر عيناى « ببغداد » النخيلا
وسنا « دجلة » والملاح يشدو والأصيلا
وسرى زورقنا المسحور والأفق الجميلا
والنسيم الطلق إذ يهفو على الشط بليلا

* * *

والعذارى آه ما أحلى « ببغداد » العذارى
كل حسناء كأيار بهاء وازدهارا
كلما أقبلن يملأن من النهر الجرارا
خلت سرباً من فراش طاف بالروض وطارا

* * *

يا ليالينا بوادى السحر عودى يا ليالى
وأعيدى ذكريات الأمس فى وادى الجمال
حين رف الحب بالنجوى على ثغر الهلال
وعلى الزورق قلبان كأطياف الليالى

* * *

يا صدى أنشودة القلب ويا بكر هوايا
أنا لولاك لما باحت بحب شفتايا
ولما غرد قلب هو فى الصدر بقايا
أنت دنياى. ولولاك لضاقت بالرزايا

* * *

آه يا أشهى أمانى ويا أجمل عمرى
يا نسيما خضل الأنداء قد أنعش زهرى
وضياء لاح فى ليل صباباتى كفجر
لم تكن دنياى لولاك سوى ظلمة قبر

* * *

بغداد — عبد القادر رشيد الناصرى

١ ـ الأعظمية من أجمل نواحي بغداد

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

فوضى علمية لأستاذ جامعي :

أعتقد أن هذه الكلمة ، تحت هذا العنوان ، ستدفع فريقاً من القراء إلى أن يقول لي : ترفق . . ترفق بالدكتور عبدالرحمن بدوي لأنه « فيلسوف » مصر الأول ، و « أستاذ » الفلسفة بجامعة إبرهيم ، وصاحب الإنتاج الفكري — معذرة فلعل المقصود هو الإنتاج المطبعي — الذي يربى على الثلاثين كتاباً !

صيحة أتوقعها قبل أن أسمعها . . ولولا أنني أعرف الدكتور بدوي حق المعرفة ، من خلال صحبته ، ومن ثنايا كتبه ، ومن حقيقة لقبه — أعني فيلسوف مصر الأول — لولا أنني أعرفه على ضوء هذا كله ، لما تجاوزت الصيحة المنتظرة ومضيت في الطريق إلى نهايته !

لقد كان من المعقول أن أترفق بالدكتور بدوي لو أنه ترفق باللقب الخطير الذي أضفى عليه ، وترفق بالأستاذية الجامعية التي هيئت له ، وترفق بالقيم الفكرية التي احتمى بها أو احتمت به ، وترفق بعقلي وعقلك وهو يريد أن يزاحم المنتجين في كل ميدان . . لو أنه ترفق بهذه الأمور جميعاً لرجعت إلى قلمي أسأله شيئاً من الرفق ، أو شيئاً من الصفح ، أو شيئاً من الأناة !

لقد حاول الأستاذ أن يكون فيلسوفاً بالقوة ، وحاول أن يكون أديباً بالقوة ، وحاول أن يكون قصاصاً بالقوة ، وحاول أن يكون شاعراً بالقوة ، ، وحاول أن يكون ناشر مخطوطات ومحقق نصوص بالقوة . وقد تفلح القوة في الشئون السياسية والدولية ، ولكنها — وهذا ما أود أن يفهمه الدكتور بدوي — لا تفلح في الشئون الفكرية والفنية ! صدقني أنني معجب به كل الإعجاب لأنه مؤمن بنفسه إلى أبعد حدود الإيمان ، حتى ليكرهها على مالا تحسن ومالا تطيق : يكرهها على فهم الفلسفة ، ويكرهها على هضم الأدب ، ويكرهها على نظم الشعر ، ويكرهها على كتابة القصة ، ويكرهها آخر الأمر على نشر المخطوطات وتحقيق النصوص . أرأيت إيماناً بالنفس يبلغ عند الموهوبين ما بلغه عند هذا المصري النابغ الموهوب ؟ ألم أقل لك إنني معجب كل الإعجاب بهؤلاء المؤمنين بأنفسهم ، حتى ولو أكرهوها إكراهاً على أن تطرق كل باب ، وأرغموها إرغاماً على أن تخوض في كل فن ، وأجبروها إجباراً على أن تحلق في كل أفق ؟!

يخيل إلى أنني مقصر في حق النقد ومهمل لرسالته . ولو لم أكن مقصراً ومهملا لتناولت قلمي منذ أمد بعيد لأحاسب الدكتور بدوي . . يخيل إلى هذا ، ولكنني أعود إلى نفسي فألتمس لها شيئاً من العذر ، حين أنظر إلى الميدان فأجده قد خلا من النقاد . ترى هل يستطيع ناقد واحد أن يحاسب هذا العدد الضخم من المنتجين ؟ وكيف أستطيع أن أحاسبهم جميعاً وفيهم من أحال الإنتاج « المطبعي » إلى معمل من معامل التفريخ ؟!

إن إنتاج الدكتور بدوي وحده جدير بأن يشغل جيشاً من النقاد لا يهدأ ولا يستقر ، ولكن أين هو هذا الجيش ؟ أين الفصيلة التي تحارب الدكتور بدوي في جبهة الفلسفة ، وأين الفصيلة الثانية التي تحاربه في جبهة الأدب ، وأين الفصيلة الثالثة التي تحاربه في جبهة الشعر ، وأين الفصيلة الرابعة التي تحاربه في جبهة القصة ، وأين الفصيلة الخامسة التي تحاربه في جبهة التحقيق العلمي . . وأين الفصائل الأخرى التي تحاربه فيما يستجد بعد ذلك من جبهات ؟ لقد تصدى له صديقنا سيد قطب — جزاه الله خيراً — في الجبهة الثالثة يوم أن اجترأ على أن يصدر ديوانه الخالد « مرآة نفسي » ، ومع أن طعنات صديقنا الأستاذ قطب كانت قاتلة ، إلا أنها كانت طعنات مهاجم واحد في ميدان يحتاج إلى فصيلة من المهاجمين . . إذا لم تصدق فاعلم أن الدكتور بدوي قد شرع في إخراج ديوان جديد ، ديوان أسأل الله أن يميتني على لقائه ! !

مهاجم واحد بالأمس في جبهة الشعر هو سيد قطب ، واليوم يظهر في الأفق مهاجم آخر هو سيد صقر . ما أعجب التشابه بين الاسمين وما أبعد الفارق بين الجبهتين . . إن الجبهة التي يهاجم فيها صديقنا الأستاذ صقر جبهة جديدة ، فتحها الدكتور بدوي

وهو أقدر القادرين على فتح الجبهات ، لأنه أقدر القادرين على ادعاء المواهب والملكات . . أما رحى المعركة فتدور على صفحات زميلتنا مجلة « الثقافة » . هناك حيث خطر للدكتور بدوى أن يحقق « الإشارات الإلهية » لأبى حيان التوحيدى !

إلى هنا وأقف قليلا لأحدثك عن هذه الفضيحة العلمية التى ارتكبها الدكتور بدوى ، وكشف عنها الغطاء صديقنا الأستاذ السيد أحمد صقر جزاه الله . . لقد نشر المقال الأول فى العدد الأسبق من « الثقافة » ، ولن يصل هذا العدد من « الرسالة » إلى أيدى القراء حتى يكون المقال الثانى قد خرج إلى النور . . ليهتك حجب الظلام ! ولن يقتصر الأمر على هذين المقالين ، فلابد من مقال ثالث ورابع وخامس ، لقاء ما بذل الدكتور بدوى من جهد فى تشويه سمعة أبى حيان ، وتشويه سمعة نفسه ، وتشويه سمعة التحقيق العلمى فى مصر ! !

إن ما نشر من سقطات الدكتور بدوى كان أهون ما فى الكتاب ، وما بقى كان ألعن . . واستمع لفصول القصة :

فى مساء الإثنين الماضى كنت وحيداً فى بيتى ، أتأهب للخروج ولا أعرف إلى أين ، فقد كان كل همى أن أطلق النفس من قيود الأسر ، أسر القلم والكتب والجدران . . وفجأة هبط على زائر كريم لم أكن أتوقع زيارته ، لأنه كان معى قبل ذلك بيوم واحد ، هناك على صفحات مجلة « الثقافة » . وحين راحت يده اليمنى تصافحنى كانت يده اليسرى تصافح أبا حيان ، أعنى تتصفح كتابه المفترى عليه : الإشارات الإلهية !

وقلت للأستاذ السيد احمد صقر بعد أن استقر به المقام : معذرة فليس لدى تليفون حتى أدعو الأدباء من أعضاء ندوتنا الأدبية إلى الإجتماع فى بيتى . تعال نذهب إلى مكاننا المختار حيث ندعوهم من هناك ، فما أحوجك إلى كثير من الشهود المستمعين لدفاعك عن كرامة التحقيق العلمى فى مصر ! . . . والتأم شمل الندوة بعد دقائق فكان فيها إلى جانب الشعراء والأدباء ، بعض الأساتذة من جامعتى فؤاد وإبرهيم . وبدأ الأستاذ صقر يقرأ على الآذان المرهفة مقاله الأول الذى نشر فى « الثقافة » ، وحين انتهى منه ، مضى يقلب صفحات الكتاب الذى « حققه » الدكتور بدوى وقدم له ، واقفاً عند كل صفحة ، مشيراً إلى كل سقطة ، لافتاً إلى كل تشويه ، معرجاً على كل تحريف !

أقسم لقد ضحكنا حتى اهتزت تحتنا المقاعد من كثرة الضحك ، ودهشنا حتى عقدت الدهشة منا كل لسان ، وأسفنا حتى ارتسمت معالم الأسف على قسمات الوجوه ونظرات العيون . . وقال أستاذ جامعى طلب إلى ألا أذكر اسمه لأنه صديق للدكتور بدوى وزميل له فى جامعة إبراهيم : « هذه فضيحة من طراز فذ ليس له نظير . إن مصيبة الدكتور بدوى أنه لا يتأنى فى إخراج كتبه ، لأنه مولع بأن يكون له فى السوق أضخم إنتاج بين المعاصرين . . هل المسألة مسألة كم أم مسألة كيف ؟ أظن أن الجامعيين يجب أن يهتموا بالجانب الأخير » !

وعقب الأستاذ صقر غاضباً وهو يوجه إلى الحديث : لو كنتم يا حضرات النقاد تحاسبون هؤلاء الناس لما حدث الذى حدث . . إنكم تتحدثون عن أزمة القراء ، ناسين أن إنتاجاً من هذا الطراز هو العامل الأول من عوامل الأزمة ، أو هو العنصر الخطير من عناصر المشكلة . إن القراء معذورون إذا انصرفوا عن القراءة وشغلوا عن ثمرات المطابع ، ما دام أكثر الكتاب فى مصر يلتمسون الشهرة عن طريق القيمة « العددية » لا الآثار الفكرية !

وقلت للأستاذ صقر وعلى شفتى طيف ابتسامة : هذا صحيح ! ولكن من هم « حضرات » النقاد يا صديقى ؟ ترى هل تخاطبنى بصيغة الجمع توقيراً لى ، أم تقصد إلى أن فى البلد نقاداً كثيرين يستحقون اللوم والتأنيب ؟ إذا كنت ترمى إلى التوقير فأنا أشكرك ، أما إذا كنت ترمى إلى كثرة النقاد فإنى أعترض عليك . . أين هم النقاد فى مصر ؟ إننى أكاد أقف وحدى فى ميدان النقد ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها ! ثم هل وجهت شيئاً من لومك إلى حضرات الأساتذة الجامعيين الذين يجلسون بيننا فى هذه الندوة ؟ لماذا لا يمتشق أحدهم قلمه ليحاسب زميلا له على هذه الفضيحة العلمية التى تسىء إلى الجامعة ؟ مهما يكن من شىء فأنا أعدك بأن أكتب فى الموضوع على صفحات « الرسالة » !

وقال أحد الجالسين من الأدباء وهو يريد أن يطمئن : من أى زاوية ستتناول الموضوع ؟ هل ستشير فى « الرسالة » إلى بعض ما كشف عنه الأستاذ صقر فى « الثقافة » ، أم أنك ستتحدث عن أزمة القراءة مرة أخرى لتنصف القراء ؟!

وأجبت وأنا أدرك هدف اللفتة البارعة : بالطبع سأشير هنا إلى مقالات الأستاذ هناك ، وسأطلب إلى قراء « الرسالة » باسم الحق والكرامة العقلية وأمانة البحث والاطلاع ، أن يتابعوا الأستاذ صقر فى « الثقافة » ليطمئنوا إلى أننى لم أكن غاليا فى كل هذا الذى كتبت ، وليدركوا أن أثر هذه الفضيحة العلمية فى ميزان الضمير العلمى ، لا يقل عن أثر أى فضيحة أخرى كفضيحة تحقيقات الجيش مثلا فى الضمير الإجتماعى . . أما القراء فلا بأس من أن أعفيهم بعض الإعفاء من تحمل التبعة ، ما دام الدكتور بدوى وأمثاله فى الميدان !

وقال الأستاذ صقر وهو يدفع إلى بكتاب « الإشارات الإلهية » : إن للكتاب مقدمة لا تدخل فى حدود علمى ولكنها تدخل فى حدود علمك . . إنها محاولة « رائعة » يثبت بها الدكتور بدوى أن أبا حيان كان أديبا وجوديا لا يقل أصالة فى نزعته الوجودية عن الأديب الألمانى فرانز كفكا ! . . إننى أترك لك هذه المقدمة لتناقشها على صفحات « الرسالة » ، وسأدفعك إلى ذلك دفعا حين أوجه إليك هذه الرغبة على صفحات « الثقافة » . . إقرأ يا صديقى اقرأ ، واشكرنى على أن قدمت إليك منبعا من منابع الإضحاك !

وتناولت الكتاب ورحت أقرأ هذه المقدمة العجيبة حقا . . تقولون إن نجيب الريحانى الذى كان نابغة عصره فى إضحاك الناس قد مات ، دون أن علأ مكانه أحد ؟! مهلا أيها المتشاءون . . لقد أثبت الدكتور بدوى أن نجيب الريحانى لم يمت ، وإذا كان ، فقد ملىء مكانه بجدارة ! أثبت ذلك فى تحقيقه لمخطوط أبى حيان عن « الإشارات الإلهية » ، وفى مقدمته التى ذهب فيها إلى أن أبا حيان كان صاحب نزعة وجودية . . وبقى أن ينتهى الأستاذ صقر من مقالاته ، لينتظرنى الدكتور بدوى فى هذا المكان !

برناردشو ورسالة المال :

فى عدد قريب من الرسالة الغراء ، وضعت لنا فى ميزانك الدقيق الأنيق ، وعلى أضواء عقلك المفتش وأشعة ذهنك الوهاج الكاتب الأيرلندى العالمى جورج برناردشو ، فأدركنا ألمع اللافتات فى فن هذا الكاتب العظيم . . لافته العقل الساخر : وعرفنا أنها « الإطار الطبيعى الذى يحيط بكل صورة من صور هذه الحياة ، ونقطة الارتكاز التى يلتقى عندها خط الاتجاه النفسى الممتد من هنا وخط الاتجاه الفكرى المنطلق من هناك »

غير أنى وقفت طويلا يساورنى الشك ويتوزعنى الارتياب ، عند نقطة قلت لعل من الخير أن أرجع إليك متسائلا ومستفيدا من تلقى الجواب . . لقد قلت إن شوكان يمتدح الشيوعية الروسية ويمتدح قطبها الأكبر ستالين بأنه خير الناس ، ثم تساءلت : ترى هل كان شو يؤمن بهذا الرأى الذى يجهر به ، أم أن سخطه على الرأسمالية عامة وعلى الإنجليز خاصة ، هو الذى كان ينطقه بغير ما يعتقد ويظهره بغير ما يريد ؟ ثم أجبت بقولك : الحق أنه السخط من جهة ـ ونقصد السخط على الرأسمالية طبعا ـ والإيمان بالرأى من جهة أخرى !

ولكن ، هل كان شو يا سيدى ساخطا حقا على الرأسمالية ، غير مؤمن باستحواذ المال ؟ إن الأستاذ العقاد يؤكد لنا فى كتابه الصغير عن برناردشو ، أنه كان مؤمنا برسالة المال فى حياة الآحاد وحياة الجماعات (ص ١١٤) ، وقال إنه لا يكتم هواه للمال وحبه للاستزادة منه ما استطاع (ص ٢٥) ، ثم يحدثنا العقاد عما كان يجذب شو نحو الاشتراكية فيقول : كان يجذبه إليها « فقره » وتمرده على النظم القائمة ونشأته الايرلندية التى تعلم منها الثورة على الاستعمار والاستغلال ، فكان انضواؤه إلى جماعة الفابيين (ص٢٧) فإذا أردنا تفسير كلمة « فقره » وجدناها لا تعنى سخطه على الرأسمالية ، يؤيد ذلك قول شو نفسه : لا تخلط بين كرهك لزيادة جارك فى الغنى وكرهك للفاقة . . فكأنه يقول : لتكره الفاقة ما استطعت ولتحاربها بالجهد فى كسب المال ، ولكن لا تكره الأغنياء لأنك فقير ، كأنه يقول ذلك

من هذا يا سيدى أردت المزيد من الوضوح ، ولعل فى تفسيرك السابق معنى آخر تكمن فيه الحقيقة دون أن أفطن إليه ، وقد استدق على فهمه واستجلاؤه . . وتقبل أخلص تحيات المعجب :

(السويس) محمد محمد عبد الرحيم

الأديب الفاضل صاحب هذه الرسالة تاجر من تجار السويس ومع ذلك فهو يقرأ « الرسالة » ، ويناقش فى الأدب ، ويقتطع من وقته لحظات ثمينة يقضيها فى صحبة الأدباء . . من حقه على

أن أخفض قلمي تحية له وإعجاباً به ، لأنه يضرب أروع الأمثال لهؤلاء الذين يفضلون عصير الليمون على عصارة الأذهان ، ويؤثرون التسكع في الطرقات على قراءة الكتب وزيارة المكتبات !

تحية أقدمها إلى الأديب الفاضل قبل أن أقول له : يؤسفني أن يحول ضيق النطاق في هذا العدد عما يريد من جواب . . فإلى العدد المقبل حيث نعود إلى برنارد شو من جديد ، مسلطين بعض الضوء على تلك الجوانب التي تنشد التفسير والتعليل

٣٦٠١١ أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

البعث العربي الجديد :

قضيت الأسبوع الماضي وبعض هذا الاسبوع ، حبيس الدار لرمد في عيني ، وما أريد أن أتحدث عن مرضي وما نالني منه ، إن أريد إلا أن أطلق بخار الطاقة المحبوس في نفسي ، فقد كنت طيلة هذه المدة كالجواد العربي الذي شد لجامه وهو يملكه . . يريد أن ينطلق .. أريد أن أغدو وأروح وأذهب وأجيء وأقرأ وأكتب ، ما لي عيش بغير هذا ، ولن يطيب لي القعود .

وكان أكبر أسفي لتلك الحبسة أن منعتني من المشاركة في ذلك النشاط العربي الذي دب في نواح من القاهرة ، في جمعية الوحدة العربية ، وفي الاتحاد العربي ، وقد تلقيت دعوتين كريمتين ، الأولى من « جمعية الوحدة العربية » لسماع المحاضرة التي ألقاها في نادي الجمعية يوم الخميس الماضي الأستاذ محمد توفيق دياب بك عن « التربية الوطنية في العالم العربي » والثانية من « الاتحاد العربي » لسماع محاضرة الأستاذ أحمد رمزي بك عن « العلاقات الاقتصادية بين البلاد العربية » .

كنت أود أن أذهب لأسمع ، ثم آتي لألخص هنا ما سمعت ، وقد أعقب عليه وأضيف إليه ما يعن لي في هذه المشاكل التي تشغل منا القلوب والخواطر . ولكن ، إن كنت قد تألمت من القعود عن ذلك ، فقد سرني بعض ما نشر عنه من ذلك الذي كان يقرأ لي .. وذلك ماحدث في جمعية الوحدة العربية عقب محاضرة الأستاذ توفيق دياب بك ، إذ وقف الأستاذ أسعد داغر السكرتير العام للجمعية، فقال: تلقيت من بضعة أيام الرسالة التالية من أحد الوطنيين العرب أقتطف منها ما يأتي : « كان لحديثكم بشأن المشروع الجديد لانشاء جريدة كبرى تكون صوتا للبعث العربي ، صدى عظيم في نفسي ، لأن هذا الصوت العربي الجديد لا يقبل أن ينام على الضيم ، العربي الذي يشعر بألم الطعنة التي أصابته في عزته وكرامته يحاول الآن أن ينهض ليستعيد قوته الكاملة ويسترد مجده السلوب . تجدون طيه شيكا يبلغ عشرة آلاف جنيه ، وسأقدم لكم خلال الأسابيع المقبلة مبلغاً آخر مثله أو أكثر إذا لزم ، وقد أحببت أن أترك لغيري من المخلصين الفرصة لنيل شرف المساهمة في هذا المشروع الجليل »

البعث العربي الجديد ، وعشرة آلاف جنيه يبذلها عربي كريم لمشروع في تعزيز هذا البعث -- إنه شيء عظيم ، أرجو أنه يكون أول الغيث

إنني لم أيأس ولن أيأس ، من هذه الأمة العربية ، بل أقول إن شيء يدعو إلى التفاؤل ، وكل ما منيت به إنما هو سحب لابد أن تنقشع . لقد كنا قبل مايو سنة ١٩٤٨ لا شيء ، ثم صرنا بعد ذلك شيئا .. لم نكن قبل موجودين لأننا لم نكن نعمل ، ثم تحقق وجودنا لأننا عملنا وأخفقنا .. ولا بأس أن نخطئ ونخفق على أن ننهض وننفض الغبار ونستمد ، وإنما اليأس كله أن نتفكك ونتوانى وننام

إن هذه الأمة العربية أمة واحدة ، وهي جسم واحد لا ينبغي أن يفرق بين أعضائه ما يندمن إيذاء بعضها لبعض، فقد تمض الأسنان اللسان . فلا تخلع الأسنان ، وسينتهي ألم اللسان ! ولو أننا جعلنا مثل هذه الأمور سبباً إلى التفرق لما أبقينا على البلد الواحد بل الأسرة الواحدة ، فلو أخذنا بما يحاجنا به المبطلون في الوحدة العربية مما حدث في الظروف الأخيرة التي لابست الحركة العربية

لما أبقينا على مصريتنا لما يلابسها في بعض النواحي من بغي وفساد

والبعث العربي الجديد يجب أن يقوم على الاغضاء وتناسي ما كان، ونقد الواقع الفاسد، والعمل للمستقبل . وهو من حيث التسامح والإيثار - كما قال العربي الأول :

وإن الذي بيني وبين بني أبي
وبين بني عمي لمختلف جدا
فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم
وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا
وإن ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم
وإن هم هووا غيي هويت لهم رشدا
وإن زجروا طيراً بنحس تمر بي
زجرت لهم طيراً تمر بهم سعدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم
وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
لهم جل مالي إن تتابع لي غنى
وإن قل مالي لن أكلفهم رفدا

بين الحقيقة والمجاز :

في إحدى الجلسات الماضية بمؤتمر مجمع فؤاد الأول للغة العربية ألقى الأستاذ عباس محمود العقاد محاضرة عنوانها « كلمات عربية بين الحقيقة والمجاز » بدأها بقوله :

توجد في اللغة العربية كلمات كثيرة بقي لها معناها الحقيقي مع شيوع معناها المجازي على الألسنة، حتى ليقع في اللبس في أيهما السابق وأيهما اللاحق في الاستعمال ، ثم قال إن من هذه الكلمات كلمتي « الحقيقة » و « المجاز »

كشكول الأسبوع

◻ أقامت جمعية علماء الإسلام في الباكستان حفلة تكريم للدكتور عبد الوهاب عزام بك سفير مصر في الباكستان ، عبر المتكلمون فيها عن الأمل في توحيد الدول الإسلامية ، واقترح بعضهم استعمال اللغة العربية لغة رسمية لكل البلاد الإسلامية

◻ جاء من كراتشي أن الدكتور عبد الوهاب عزام بك يقوم بترجمة ديوان « رسالة الشرق » للشاعر محمد إقبال ، وأنه سيفرغ منها في أوائل العام القادم ، على أن تنشر في ذكرى إقبال التي تقع في إبريل

◻ تحدث معالي الدكتور طه حسين باشا إلى مندوب الأهرام في صدد حضور علماء أوربا إلى مصر في عيد الجامعة ، فقال معاليه: الشيء الذي لا شك فيه هو أن أوربا المثقفة قد عرفت الآن أن مصر قوة أساسية في مستقبل الحضارة الإنسانية الحديثة

◻ يعمل معالي وزير المعارف على إنشاء معهد « أكاديمي » للعلوم والفنون والآداب ، وقد أعد المشروع الخاص بهذا المعهد ليعرض على البرلمان قريباً

◻ أعلن مدير مصلحة الآثار الباكستانية أنه أمكن تحديد الموقع الذي أقيمت عليه مدينة « دايبول » القديمة التي يرجع عهدها إلى القرن الثامن والتي نزل بها محمد بن القاسم عند غزو الهند في الفتوحات الإسلامية . وقد عثر هناك على آثار تلقى ضوءا على صفحة مجهولة من تاريخ العرب والإسلام في الهند

◻ أذاعت وكالة الأنباء العربية من لندن أنه قد صدرت في بريطانيا طوابع بريد تذكارية إحياء لذكرى مرور ألف سنة على وفاة الفيلسوف ابن سينا . وسيخصص المال الذي يجمع من بيع هذه الطوابع لبناء مقبرة جديدة في همدان بإيران لصاحب الذكرى

◻ تحدث الأستاذ مارون عبود بمحطة الشرق الأدنى عن النهضة الأدبية في سوريا ولبنان ، فقال في شعراء الرمزية : إن شعرهم قليل الفيتامين كثير الفسفور

فالحقيقة فكرة مجردة ولكن مادة الكلمة تستخدم للدلالة على ما يلمس باليد ويقع تحت النظر فيقال «انحقت» عقدة الحبل ، أي انشدت . والمجاز من جاز المكان أو جازبه غير ممترض، ويقال هذا جائز عقلا أي غير ممتنع ولا اعتراض عليه

وعرض الأستاذ طائفة من الكلمات وبين معانيها الحقيقية والمجازية واستعمالاتها في المحسوسات وغير المحسوسات ثم قال : ونستطرد ومما تقدم إلى المقارنة بين اللغة العربية واللغات الأخرى في استعمال المعنى الحقيقي والمعنى المجازي في وقت واحد فيبدو لنا من هذه المقارنة أن الكلمات التي تستعمل للغرضين كثيرة في اللغة العربية وليست بهذه الكثرة في اللغات الأوربية ، وقد يرجع هذا الفارق إلى غير سبب واحد ، فلعله راجع إلى تطاول العهد بين بداوة الأمم الأوربية وحضارتها ، ولعله راجع إلى انتقال لغاتها إلى حالتها الحاضرة من لغات قديمة بطل استعمالها وانقطعت فروعها عن أصولها ، ولعله راجع إلى خاصة عربية بدوية في التعبير بالتشبيهات المجازية أو الشعرية . وأيا كان السبب فالخلاصة العلمية التي تتأدى إليها من هذه الملاحظة أننا لا نحتاج كثيراً إلى التسلسل التاريخي في وضع معجماتنا الحديثة ، لأن هذا التسلسل ضروري في اللغات التي يكثر فيها إهمال الكلمات في معنى وصيرورتها في معنى آخر ،

ولكنه لا يبلغ هذا المبلغ من الضرورة حين توجد الكلمة مستعملة في جميع معانيها على السواء أو على درجات متقاربة . ومن النتائج العملية لتلك الملاحظة أن نذكر في سياق التجديد والمحافظة على القديم أن العرب كانوا مجددين على الدوام في إطلاقهم الكلمات القديمة على المعاني الجديدة ، ونحن لا نعدو سياقنا هذا حين نلتفت إلى الأصل في كلمة القديم والأصل في كلمة الجديد ، فنتخذ منهما شاهداً على ما ذهبنا إليه . فالتقدم هو السير بالقدم ، ويقال تقدم أي مشى بقدمه ، كما يقال ترجل أي مشى برجله ، وتقدمه أي مشى أمامه ، ومن هنا التقدم بمعنى السبق والقديم بمعنى الزمن السابق . ولا ندرى على اليقين كيف أطلقت كلمة الجديد على معناها هذا في أقدم أطوارها ، ولكننا ندرى أن الجد هو القطع وأن الثوب الجديد هو الذى قطع حديثاً ، فلعل هذا المعنى من أقدم معانى الجديد ، إن لم يكن أقدمها على الإطلاق . وظاهر من جملة هذه الملاحظات أن أهل العربية جددوا كثيراً في مجازاتهم ، وأننا نستطيع أن نحذو حذوهم ونحن نقول « نحذو حذوهم » ولا نظن أننا نبعد في اتخاذ الكلمات لمعانيها المستحدثة مسافة أبعد من المسافة بين الأصل في حذو الجلد وبين المجاز في دلالته على الاقتداء والاهتداء ، ولا أبعد من الأصل في كلمة « المسافة » حين أطلقت على الموضع الذى يسوف فيه الدليل تراب الأرض ليعرف موقعه من السير ، ثم استعيرت لما نعنيه اليوم بالمسافة وهى كل بعد بين موضعين . وشرط اللغة علينا أن نصنع كما صنع أهلها ، فنجدد في المعاني من طريق المجاز ، بحيث لا يكاد السامع يفرق بينها للوهلة الأولى : أهى أصل في اللغة قديم أم مجاز جديد

ثم جرت مناقشة بين الأعضاء في موضوع المحاضرة ، قال فيها معالى السيد محمد رضا الشبيبي : هل يفهم من قول الأستاذ « إننا لا نحتاج كثيراً إلى التسلسل التاريخي في وضع معجماتنا الحديثة وأننا في غنى عن وضع المعجمات اللغوية التاريخية » ! فقال الأستاذ العقاد : في اللغة العربية استعملنا كثيراً من المعاني المجازية ، لكن التعب الذى نحتاج إليه في الرجوع إلى أحوال الكلمات أقل من تعب واضعي المعجمات الأوربية ، فمثلا معجم أكسفورد وهو أكبر معجم للانجليزية اضطر واضعوه أن يبدأوا من القرن الثاني عشر لأن ما قبله لا يستعمل الآن ولا يفهم ، لكننا نحن قد نجد كلمة من الجاهلية تستعمل الآن في معناها الأصلي

وقال الأستاذ « جب » : ما مدى تطبيق هذه القاعدة؟ إن نظام الاختيار في نهاية الأمر للجمهور ، أما فيما يختص بالمصطلحات العلمية فالجمهور خاضع لأمر المختصين

وقال الأستاذ « ماسنيون » : تذكرت جلسة من الجلسات القديمة تباحثنا فيها عن التضمين ، فالتضمين كالمجاز ، وقد ألقيت منذ سنتين كلمة في جامعة باريس عن أهمية التضمين في تشكيل عبارات جديدة ومعان جديدة في قوالب قديمة . فقال الأستاذ العقاد : لم نتنفع بالتضمين حق الانتفاع مع أنه نافع جداً ، والتضمين يجب أن يتجه إلى إبداع معان فكرية جديدة ، أما المحلات اللفظية فنحن في غنى عنها

حول محاضرة الدكتور ناجى :

قرأت تعقيبك على محاضرة « الشاعر الدكتور ناجى » ... وأنا وإن كنت ممن يقدرون شعر ناجى ، بل كدت - يوما - أضمه في مصاف الملهمين المعاصرين من أمثال على طه وإيليا أبي ماضي ... وإن كنت أيضاً لا أحب أن أتعرض لشكواه من أن القراء يقدرونه أو لا يقدرونه ... إلا أنه آلمني حقا أن ناجى يود أن تتخلص الرسالة من شعرائها (التافهين) ، أو على الأصح يود أن تقف الرسالة (رسالة الشعر) عليه وعلى أمثاله من الملهمين ... ...

هذه ياسيدى الأستاذ - علة الشرق الحديث ، وهذا داؤه ... كلنا يحب أن يطغى على غيره ... لا عمل لنا إلا قتل الناشئين في مهدهم ... أما أن ننفسح لهم الطريق - ولا أقول - نقومهم ونرشدهم ... أما أن نتخذهم تلامذة لنا .. نقول لهم هذا صحيح فاتبعوه ، وذاك خطأ فاجتنبوه ... فليس هذا من دأبنا

وليس الذنب ذنب (ناجى) وحده - فيما أرى - فلقد سمعت منذ أشهر أحد الأدباء الكرام يتهجم هو أيضاً على الشعراء من شباب اليوم ويتهكم قائلا : إنهم يقولون الشعر وهم بعد لم يحفظوا

الكتب

تفسير جزء تبارك

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي

عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

وضع هذا التفسير صديقنا الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية. وقد حذا فيه حذو الأستاذ الإمام فى تفسيره لجزء عم من حيث الاقتصار على ما فيه الفائدة ويحتاج إليه الحريص على فهم كلام الله وحده. وقد تحققت هذا من التفسير وزارة المعارف المصرية فطبعت منه نيفاً وثلاثين ألف نسخة ووزعتها بين أيدى الطلاب. ويكفى فى التعريف بهذا التفسير ما قاله المرحوم الشيخ مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر فيه (أنه مرجو النفع به: لما فيه من العناية بتقرير المسائل التى تمس إليها الحاجة، ولما هو عليه من سلامة الأسلوب وصفاء العبارة) وقال فيه الأستاذ الشيخ محمد بهجة الأثرى كبير مفتشى المعارف فى الوزارة العراقية، وقد أهدى إليه مؤلفه نسخة منه: (وأفاخر بأن أضمها إلى أمثالها فى خزانة كتبى من أجلاد التفاسير لعلماء الأمة، ولها عليها جميعاً مزية الجدة فى الرأى وجمال العرض وبراعة البيان) افتتح المفسر مقدمة تفسيره بقوله:

(نحمدك ربنا منزل القرآن. بحقائق الإيمان، وجليل العبر، وملهم الأذهان نواصع البيان، ودقيق النظر، ونصلى ونسلم على سيدنا محمد المبعوث بأكرم الأديان، وقاطع البرهان، من ولد مضر. صلاة وسلاماً تتجددان، ما تجدد الزمان، وتعاقب الملوان. ولاح قمر، ولا أدل على تصوير مكانة هذا التفسير

(كتب المحفوظات فى المدرسة)....

وهكذا يستمدى ناجى الرسالة على الناشئين من الشعراء وهى المجلة الوحيدة فى الشرق التى لا تشترى الأسماء ولا تنشر إلا ما يستحق النشر فى وقت دأبت فيه جل مجلات الشرق على أن تشترى قراءها بأسماء ضخمة مقدمة ومؤخرة بالألقاب ... وفات ناجى أن الرسالة أستاذ قبل أن تكون مجلة، وأن قراءها تلامذة قبل أن يكونوا قراء ...

وبعد فما أحب أن أطيل الحديث مع ناجى، ولكنى أود أن أقول له: لم لم يكتب للرسالة ناقداً وموجها ؟! ... لم لم يجابه أولئك «التافهين» بشعره على صفحات الرسالة ؟! ...

وبعد فيا صاحب (الليالى القاهريات) ... إنى لأذكر أن الرسالة حدثتنا — منذ زمن — أنك أنكرت على الناس جحودهم لشعرك فخرقته — على ما أذكر — ويومها كنت أرثى لك وأترحم على شعرك ... أفلا تخاف — يا شاعرى — أن ينكر عليك شعراء الشباب هذا الجحود، فيفعلون بأدبهم مثل ما فعلت بأدبك فى شبابك ؟! ... ويومها — ياسيدى — اقسم لك أننا سوف نفقد تلك الروح العذبة الرقيقة التى تسيطر على شعر الشباب .. !! ...

لقد قالت الرسالة ياسيدى الشاعر فى عددها الأخير على لسان الأستاذ المداوى «إن الرسالة لن تغلق أبوابها يوما فى وجه أصحاب المواهب والملكات»

«أسامة»

إنى أشاطر الأديب «أسامة» تقديره لشعر الدكتور ابرهيم ناجى ولا أرى فى تعقيبه ما يحتاج إلى تعقيب إلا أننى أحب أن أعبر عن مودتى للدكتور ناجى، تلك المودة التى لا يعجبه أن تمزج بما أكتب عنه أحيانا.. ولكن ماذا أصنع وهو يغرى هذا القلم دائما بما يهيئ له من موضوعات طريفة ؟ إنه يغضب منى، وقد اصطلحنا غير مرة، ولكن الإغراء يتجدد.. ومالى بدفعه حيلة

وأرجو أن يوسع الشاعر الكبير الدكتور ابراهيم ناجى — صدره، ويمد نفسه — كما نعده — ملكا أديبا عاما.. وأن يقبل تحيتى ومودتى واحترامى

عباس خضر

والتعريف بحسنه من أن نبسط تحت مواقع أبصار القارىء هذا النموذج منه : وهو ما حبره المؤلف تعليقاً على آية (كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء) فقد قال بعد أن أبان ارتباط معنى الآية بمعنى ما سبقها وأزاح الستار عن معنى القضاء والقدر بما يسكن إليه ضمير القارىء المثقف قال ما نصه :

« على أن المقام ربما وسع كلمة نحب ألا تفوتنا عملا بما أمرنا به القرآن من النظر فى الأمم وحالاتها ، ثم الاعتبار ببداياتها ونهاياتها ، فنقول :

أشرنا فى أطواء كلامنا السابق إلى أن البشر قد تجذبهم إلى سعادتهم أو شقاوتهم « جواذب » وإن شئت سميتها « عوامل » : من مثل الملة التى يمارسون شعائرها وأحكامها ، والحكومة التى تسيطر عليهم ، والعائلة التى تربى أطفالهم . والمدرسة التى تعلم أبناءهم ، والمحفل أو النادى الذى يحتشدون فيه للحديث أو السمر أو اللهو أو البيع والشراء أو مختلف الأعمال والمصالح — فالمراد من المحفل أو النادى ما يريده علماء التربية بقولهم « جماعة الأصدقاء والمعاشرين » — والوراثة التى تنقل إلى أبدانهم دم آبائهم ومزاجهم وتكوينهم الجسمانى ، كما تنقل إلى نفوسهم طباع أولئك الآباء وغرائزهم وأخلاقهم وتكوينهم الروحانى ، والإقليم الذى يشربون ماءه ، ويستنشقون هواءه ، ويذوقون حره وبرده ، ويقتاتون بمحصولاته . وهذا المؤثر يسميه علماء علم النفس « البيئة الجغرافية » ، ويسمون العوامل الأخرى « البيئة الاجتماعية »

هذه « الجواذب » أو « العوامل » هى التى تعمل فى تكوين الأمم ، وهى التى تعرف بها حالتها الاجتماعية ، ودرجتها فى سلم المدنية ؛ فإن صلحت تلك العوامل واستقامت صلحت الأمم واستقامت فى أفرادها وجماعاتها ؛ إذ ليست الجماعات إلا فرداً متكرراً ، وإن ساءت وفسدت ساءت أحوال الأمم ، وانحط شأنها ، وتقهقر عمرانها

هذه الجواذب هى التى تجتذب البشر إلى ملابسة الخير أو موافقة الشر ، وتقودهم من أيديهم إلى مواطن السعادة ، أو مواطن الشقاوة ، وهى التى نستدل بها ، ونعثر على أثرها فى معرفة ما هو قضاء الله وقدره فى هذه الأمة ، أو تلك الأمة

فمهما رأينا من كمال تلك العوامل وسدادها ، وثبات أمرها ، وحسن نظامها — فهناك فوز الأمة وفلاحها ، وتجلى حكم القضاء والقدر فيها . ومهما رأينا من نقص « العوامل » وخطلها ، واضطراب أمرها ، وقبح نظامها — فهناك هلاك الأمة ودمارها ، وحكم القضاء والقدر فيها

هذه العوامل هى التى يعنى بها الأنبياء والحكماء والمشرعون والعلماء الاجتماعيون ، فيجتهدون فى إصلاحها ، وتقويم أودها ؛ حبا فى إصلاح أممهم ، وترقية شأن شعوبهم ، ولم يأل الدين الإسلامى فى النصح لأبنائه بوجوب توفيرها وتنقيتها من الشوائب ؛ كى تبقى صالحة لسعادتهم فى دنياهم ، ونجاتهم فى أخراهم

قد يقال : إذا كانت هذه العوامل هى مظهر قضاء الله وقدره فى البشر ، وعلى سلمها يتزلق بهم ويصعدهم ، ويشقيهم ويسعدهم ، فأنى لنا الوصول إليها بالإصلاح والترميم ، والتغيير والتبديل ؟ وهل هذا إلا افتئات على القدر ، وتداخل فى وظيفته ؟

والجواب على هذا آيات القرآن نفسها ؛ فإنها إنما أمرتنا بالنظر فى أحوال الأمم والاعتبار بما جرى ؛ لنتمسك بما كان سبباً فى نجاتها وسعادتها ، ولنتجنب ما كان سبباً فى هلاكها وشقاوتها . ونحن فى كلتا الحالتين بالمنون ما قضاه الله وقدره فينا « اعملوا فكل ميسر لما خلق له »

وهذه الأمم المعاصرة لنا — معشر المسلمين — ارتفعت وعزت وغلبت بما كان من عنايتها بأمر العوامل المذكورة ؛ فليس الدين لديها اليوم ، ولا طرز الحكومة ، ولا نظام العائلة ، ولا قوانين المدرسة والتربية العامة وسائر مقومات الاجتماع — كما كانت عليه فى عصورها الوسطى

نقول : والاقليم والوراثة كيف يكون إصلاحهما ؟

فأما إصلاح « الاقليم » فيكون بتجفيف المستنقعات ، وغرس الأشجار ، وإنشاء الغابات والحراج ، وحفر الترع ، وجر المياه النقية للشرب

وأما إصلاح « الوراثة » وتحسين حالة النسل والأخلاق فقد أخذ المربيون فى الأيام الأخيرة يعتنون به ، ويستفيدون مما يرشدهم

إليه العلم الصحيح ، والتجربة القاطعة بشأنه

وهذا ، أو ذاك ، أو ذلك – مما يدخل تحت الطاقة ، ويستطيعه البشر وقد أصبحت المكابرة فيه ضربا من الجهل والغباوة بعد ما رأينا حسن أثره واضحاً جليا في الأمم التي غلبت علينا ، وأصبحت المتحكمة فينا

وعجيب من مسلم أن يجرؤ على القول بأن في إصلاح الدين ، أو الحكومة ، أو نظام العائلة ، أو طريقة التعليم والتأليف ، أو سائر عوامل الحضارة والعمران – مخالفة للدين ، أو تدخلا في وظيفة القضاء والقدر ، وهذا الشارع الأعظم صلى الله عليه وسلم يجعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ركناً من أركان الدين ، وليس هو في الواقع ونفس الأمر إلا مراقبة دائمة على الدين والمتدينين به ؛ فلا يتسرب إليه أو إليهم ما ليس منه في شيء فيفسد ويفسدون

فالأمر والنهي إذن إصلاح ، والآمرون الناهون مصلحون وكان بعض العارفين يقول : « ينبغي لأهل كل مذهب في كل عصر أن يكون فيهم عالم كبير ينقح مذهبهم ، وذلك لأن الأحكام تتغير بتغير الزمان »

ومما يحسن إيراده هنا أن الشارع صلى الله عليه وسلم نبهنا إلى تأثير ناموس الوراثة ، وأشار إلى أن في إصلاحه إصلاحا للنسل والذرية مذ قال : « تخيروا لنطفكم ، فإن العرق نزاع » يريد تزوجوا كرائم النساء ؛ فإن أولادكم من زوجاتكم يرجعون في طيب الأخلاق وقبحها إلى أجدادهم من أمهاتهم ، أما رجوعهم في أخلاقهم إلى أجدادهم من جهة آبائهم فبالطريق الأولى. وليس فوق هذا إرشاد وتعليم لنا في أن نصلح شؤوننا ، وعوامل اجتماعنا ، حتى ما يظن أنه مما لا يدخل تحت طاقتنا كمسألة الوراثة هذه .

وقال أبو الأسود الدؤلي مخاطبا أولاده :

وأول إحساني إليكم تخيري لماجدة الأعراق باد عفافها

وبالجملة فإن الدين والعلم والتجربة والمشاهدة اتفقت كلها – وإن خالفها الجهل والتقليد والمكابرة – على أن سعادة الأمم وشقاءها أمران ميسوران لها ، داخلان تحت طاقتها . وليس معنى أن الله يضلها ويهديها إلا أنه تعالى بعد أن بصّرها طريق الهدى والضلال ؛ فهي إذا اختارت لنفسها طريق الهداية اختارته وسلكته بمشيئة الله وإرادته وسابق علمه ، وإذا اختارت لنفسها طريق الضلال اختارته وسلكته أيضا بمشيئته تعالى وإرادته وسابق علمه . وما أحسن ما قاله نبينا صلى الله عليه وسلم : « أيها الناس ، إنهما نجدان : نجد الخير ونجد الشر ؛ فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير ؟ » ، ويشبه هذا ما قاله الامام جعفر الصادق بن محمد الباقر : « إن الله أراد بنا شيئا وأراد منا شيئا ، فما أراده بنا طواه عنا ، وما أراده منا أظهره لنا ، فما بالنا نشتغل بما أراده بنا عما أراده منا ؟ »

وأوضح السبل الموصلة إلى سعادة الأمم هو إصلاحها دينها ؛ فلا يكون فيه حشو أو بدعة ، أو تكليف مما لم يأت به وحي ، ولا خبر صادق . ثم إصلاح بقية المقومات والعوامل التي قلنا إنها هي التي تجذب بضبع الأمم إلى مراقي الكمال والعزة والغلبة. كما أن أقرب الطرق التي تأخذ بالأمم توا إلى هاوية الذلة والمسكنة والدمار والاضمحلال – هو ترك الدين محشواً بالبدع ، وبما لا يرضى الله ورسوله من الآراء والتعاليم والأقوال البين سقطها ، الظاهر غلطها . ومثل ذلك في الضرر أن نترك كل قديم على قدمه من أوضاع حكوماتنا ، ونظام عائلاتنا ، وأصول التدريس والتأليف في مدارسنا ومؤلفاتنا ، وسائر مقومات اجتماعنا . وقد تبين فساد ذلك كله وعدم إيصاله إلى مباهج الحياة السعيدة ؛ فإن جميع ذلك سبل ضلال : بسطها الله تحت مواقع أبصارنا ، وبالغ في تحذيرنا منها في محكم كتابه ؛ فما علينا إلا التنكب عنها ، والاستعاذة به تعالى منها ؛ فنكون من الفائزين المهتدين إن شاء الله

البريد الأدبي

طول العمر وقصره :

وجه حضرة الأستاذ عدنان سؤالاً على صفحات الرسالة الغراء بالعدد (٩١٥) بمناسبة مقالى عن (الخمر بين الطب والإسلام) يقول فيه إنه جاء فى هذا المقال (وإذا اطلعتم على إحصائيات شركات التأمين على الحياة وجدتم أن استعمال الخمر ولو بمقدار متوسط يقصر العمر) ثم يقول كيف يمكن التوفيق بين إحصائيات شركات التأمين على الحياة وقول الله تعالى (وما كان لنفس أن تموت إلا باذن الله كتاباً مؤجلا) وقوله جل شأنه (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)

وقد أوجزت (الرسالة) رداً بليغاً، بقول الله تعالى (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب) وأنا أجيب حضرة السائل فأقول

ما من شئ فى هذه الحياة الدنيا إلا وقدر بأسباب، فلم يقدر مجرداً عن سببه ولكن قدر بسببه. فمتى أتى الإنسان بالسبب وقع المقدور، ومن لم يأت بالسبب انتفى المقدور وهكذا كما قدر الشبع والرى بالأكل والشرب، وقدر إنجاب الأولاد بالزواج وقدر حصول الزرع بالبذر، وقدر خروج نفس الحيوان بذبحه، وقدر دخول الجنة بالأعمال ودخول النار بالأعمال (كما جاء فى الجواب الشافى لمن سأل عن الدواء الشافى لابن قيم الجوزية) فكذلك قدر على شارب الخمر من الأزل إتلاف صحته سريعا ثم يقضى فى عمر قصير كتبه الله عليه فى اللوح المحفوظ (وكل شئ أحصيناه كتابا)

أرأيت إلى من يدهسه (ترام) مثلا فيموت هل قصر عمره أم ذاك كان فى كتاب مسجل فى برنامج الوجود؟

أرأيت إلى من يرمى نفسه من حالق فيتردى، هل قصر عمره أم ذاك أجله وافاه. فالمقتول والمنتحر كل منهما ميت بأجله الذى علم الله وقوعه وسببه وزمانه ومكانه. وكذلك شارب الخمر ميت بأجله الذى قدره الله له، فكل الأشياء مرسومة قبل أن يوجد الانسان

إذاً لم تكن الخمر سبباً فى انقاص أجل طويل فلكل أجل كتاب، ولكنها سبب لتقدير أجل قصير قدره الله من الأزل

وقد أخرج مسلم عن جابر أن سراقة بن مالك بن جعشم قال يا رسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن فيم العمل أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيما يستقبل؟ قال فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وكل عامل بعمله)

الدكتور حامد الغوابى
طبيب أول مستشفى رعاية الطفل بالجيزة

رحمة باللاجئين

حينما تناولت القلم لأكتب وقفت طويلا . . حائراً ... قبل أن أبدأ ... لقد تزاحمت على الكلمات ، وأخذت الألفاظ تترى من كل حدب وصوب كالسيل الجارف . فلم أدر ماذا أكتب وماذا أهمل ؟

وهل تفى الكلمات بالغرض الذى من أجله تناولت القلم . هل يمكن للحروف المسطرة على القرطاس ... أن تصرخ وأن تصيح وأن تسكب دماء بدل الدمع حينما تحاول أن تصور حالة إخوان لنا إن لم يكن فى اللغة والوطن والدين . فعلى الأقل فى الانسانية

إنهم ليسوا بالأموات ولا هم بالأحياء كذلك؛ أو قل إن شئت إنهم أحياء أموات أو أموات أحياء . وهل أدل على ذلك من أناس يعانون المرض والبرد والجوع والعرى ولا يكونون كما وصفتهم . أنهم إخواننا اللاجئون العرب الفلسطينيون

أهب ياسيدى بقراء الرسالة وذكرهم بما هو البرد وزمهرير الشتاء فى العراء . ذكرهم بالجوع وقل لهم ما هو . ذكرهم بالمرض فى الخلاء من غير مأوى ولا دواء . ناشد ياسيدى إخواننا القراء لكى يمدوا يد المعونة إلى هؤلاء البائسين الشردين وليرسل كل منهم إلى حضرة صاحب السعادة رئيس المجلس الأعلى لاغاثة اللاجئين العرب الفلسطينيين بجمعية الهلال الأحمر المصرى بالقاهرة ماتجود به نفسه من مال أو ملبس أو دواء أو ما يستطيعون وما يفيض من حاجتهم مهما قل ؛ فإن القليل كثير

سام ياسيدي في هذا العمل الانساني بنشركم كلمتي هذه فإن كلمة صغيرة قد تنقذ أرواحا معذبة قد تكون الآن في حالة النزع أو ماهو شر من النزع

محمد أسامه

الموظف بالمجلس الأعلى لإغاثة اللاجئين الفلسطينيين العرب

سؤال

ألقى مدرس ثانوي من إخواننا المسيحيين بمدرسة (...) الثانوية بالقاهرة على طلبته بالسنة الأولى السؤال التالي : ألم تقولوا إن الإسلام قد سبق الديمقراطية الحديثة في احترام الحريات والرأي والاعتقاد ؟ فأجابه تلامذته بجواب الواثق الواثق بنعم . فقال المدرس لماذا إذن يستعمل الاسلام القوة مع المرتد فيحكم عليه بالاعدام ؟ أليس من حرية الاعتقاد أن يعتنق الشخص أي دين يشاء ؟

وفلسفة الاسلام في قتل المرتد أعمق غوراً من أن يبلغها السائل والمسؤول . فالاسلام لم يقتل المرتد لأنه يهودي أو لأنه نصراني، وليست علة القتل هي اليهودية أو النصرانية، وإلا لما ترك الاسلام يوم كان يسيطر على الدنيا كتابيا واحدا . وهذا غير ما عرف من إكرامه لأهل الكتاب عامة وأهل الذمة خاصة ، ولكنه قتل المرتد لأنه ذو وجهين أو لأنه لا مبدأ له أو لأنه مادام – بإسلامه – قد اكتمل إيمانه بموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام لا يصح أن يعود من جديد فيؤمن بالبعض ويكفر بالبعض الآخر . والقائل أن يقول لم يقتل الاسلام المرتد العكسي أي من اليهودية أو النصرانية إلى الاسلام فأقول له إن إيمانه كان عجزاً فبإسلامه أصبح إيمانه كاملا فليس من الحكمة في شيء استعمال القوة معه . ولا إيمان المسلم بمحمد إلا إذا آمن بعيسى قبله

وبعد فليعلم إخواننا المسيحيون المدرسون أن التلاميذ الذين بين أيديهم إنما هم أمانة عندهم فلا يصح بذر الشكوك في أذهانهم الغضة بمثل هذه الأسئلة التي لا يستطيعون الاجابة عنها في مثل هذه السن ولا بمثل ماعندهم من العلم

مختار محمد هويسه

بين حافظ ابراهيم وعبد الحميد الزهراوي :

كان حافظ معروفاً بالتدقيق في انتقاء الألفاظ فإذا حضره معنى من المعاني الشعرية المطلوبة بذل أقصى الجهد في وضعه في قالب فصيح بليغ ، وقد يقضي أياما يبحث عن لفظ فصيح تتلقاه الآذان دون استئذان

وأذكر أنه في مقهى « السبلندد بار » المقابل لحديقة الأزبكية والذي يسمى الآن « مقهى السبت فاير » في القاهرة كان يجلس أدباء الجيل الماضي في خلال الحرب الكبرى الأولى وقبلها وبعدها – رأيت في أحد الآصال حافظا يقبل على جماعة من أولئك الياميين ثم ينشدهم قصيدة من قصائده الغر يخاطب فيها العميد البريطاني وأذكر من أبياتها الأولى :

بنات الشعر بالنفحات جودي	فهذا يوم شاعرك المجيد
أطلي واسفري ودعيه يحيى	بما توحين أيام الرشيد
إلى من نشتكي عنت الليالي	إلى العباس أم عبد الحميد

ثم يتطرق إلى مخاطبة العميد فيقول :

إذا اشتد الصياح فلا تلمنا	فإن القوم في جهد جهيد

وعندما بلغ هذا البيت بدت عليه علامات الكآبة فقيل له علام أنت مكتئب يا حافظ؟ فقال والله إني غير راض عن هذا اللفظ « اشتد » فإنه لفظ سقيم . وقد حاولت عبثا أن أجد لفظا آخر أفضل منه فلم أوفق، فأخذ كل من الحاضرين يبحث عن اللفظ المناسب ومرت دقائق ودقائق والجميع واجون حتى اندفع الشيخ عبد الحميد الزهراوي الذي كان في ذلك العهد محررا في (الجريدة) التي كان يتولى رئاسة تحريرها الفيلسوف أحمد باشا لطفي السيد وقال لحافظ قل « إذا اعلو لي الصياح فلا تلمنا » فهلل محيا حافظ وقال لعبد الحميد لله درك يا عبد الحميد! والله إن هذا هو اللفظ الذي ما فتئت أبحث عنه فلم أعثر عليه ، وتقدم إلى الشيخ وقبله.

رحم الله أولئك الأبطال !

طرابلس الغرب

خليل الخوري

القاضي في المحاكم الليبية



حب في الشتاء

قصة للكاتب الروسي أنطون تشيكوف

الأستاذ محمد فتحي عبد الوهاب

كان ذلك اليوم من أيام الشتاء المشرقة ... والصقيع ينقصف في حدة ، وقد كسا الجليد اللجيني خصلات شعر نادنكا المتهدلة على جبينها وحافة شفتها العليا

وكانت ممسكة بذراعي ونحن واقفان على تل مرتفع ، وقد امتد تحتنا المنحدر الأملس ، تنعكس عليه أشعة الشمس كما لو أنه مرآة ، وبجوارنا زاحفة مغطاة بقماش أحمر براق

وقلت لها راجيا « فلننزلق يا نادبزدا بتروفنا ! مرة واحدة فحسب ! أؤكد لك أنك ستكونين بخير ولن تصابي بسوء »

بيد أن نادنكا ظلت مرتاعة ، فقد كان يبدو لها المنحدر من موقع قدميها حتى سفح التل الثلجي وكأنه هوة مهولة عميقة الغور. وخانتها شجاعتها ، وبهرت أنفاسها كلما حدقت إلى أسفل ، في الوقت الذي كنت أقترح عليها مجرد ركوبها الزاحفة . إذن ماذا يكون حالها إذا ما جازفت بالاندفاع إلى الهاوية؟ فلعلها تهلك أو لربما تفقد وعيها

وقلت « أرجوك ! لا تخافي ! إنها شجاعة واهنة منك ! إنه خور وضعف ! »

وأخيراً أذعنت دونكا ... ولاحظت من ملامحها أنها قد رضخت وهي في حالة من الخوف المميت . وأجلستها على الزاحفة شاحبة مرتجفة ، وأحطتها بذراعي . ثم دفعت بي وبها إلى أسفل الهاوية

واندفعت الزاحفة وكأنها القذيفة . ولطم الهواء وجهينا مزمجرا ، وهدر في آذاننا يتمزق حولنا ، ويقرصنا غاضبا في قسوة ، محاولا أن ينتزع رأسينا من أكتافنا . وتعذر علينا التنفس من ضغط الريح

كان يبدو كما لو أن الشيطان ذاته قد أمسكنا بمخالبه ، يسحبنا إلى الجحيم في هدير . واستحال كل ما يحيط بنا خطا واحداً متماسكا ممتدا يسابقنا سباقا هائلا ... وخيل إلينا في لحظة كما لو أننا في طريق الردى

وهتفت قائلا في همس « إني أحبك يا ناديا ! »

ثم أخذت الزاحفة تقل سرعتها رويداً رويدا ، ولم نعد نخشى هدير الريح . وسهل علينا التنفس . ثم إذا بنا في سفح الهضبة

كانت نادنكا في حالة سيئة ، شاحبة الوجه ، تتنفس في صعوبة ... وساعدتها على النهوض

وأخيراً قالت وهي ترنو إلي بعينين واسعتين مفعمتين رعبا « ما من أحد في العالم يدفعني بعد ذلك إلى إعادة الكرة . لقد كدت أهلك ! »

وإن هي إلا لحظة حتى استعادت رباطة جأشها ، ثم تطلعت في عيني متسائلة ، وقد لاح على محياها دلائل العجب : هل أنا تفوهت حقا بهذه الكلمات الثلاث ؟ أم كان ذلك وليد مخيلتها وسط زئير العاصفة ؟ وكنت واقفاً بجوارها أدخن وأنا غارق في تأمل قفازي

وأخذت بيدي ، ثم قضينا وقتاً طويلا نتجاذب أطراف الحديث على مقربة من التل الثلجي . وكان من الجلي أن اللغز لا يدع لها فترة للراحة ... هل تفوهت بتلك الكلمات أو لم أتفوه ؟ ... نعم أولا ؟ ... نعم أولا ؟ إنها مسألة كبرياء ، شرف ، حياة — إنها شيء ذو أهمية كبرى ، أهم مسألة في العالم

وظلت نادنكا تتأمل وجهي في حزن واضح ، وتخترق نظراتها النفاذة ملامحي في صبر نافذ ، وتجيب على أسئلتي كيفما تمن لها الإجابة . أواه ، يالها من مشاعر تتلاعب على صفحة ذلك الوجه الجميل ! شاهدت أنها تناضل مع نفسها ، وتود أن تفضي بشيء ، وتريد أن تسأل سؤالا ، دون أن تجد ما يسعفها من كلمات . تستشعر الارتباك والخوف والاضطراب ...

وأخيراً قالت دون أن تنظر إلي « أتعرف ماذا ؟ »

قلت « ماذا ؟ »

قال « دعنا نتزلق مرة أخرى ! »

* * *

وتسلقنا الهضبة الثلجية .وجلست نادنكا فى الزاحفة شاحبة مرتجفة . ومرة أخرى اندفعنا شطر الهوة المخيفة . وزأرت الريح. ومرة أخرى همست والزاحفة تشق طريقها فى سرعة مخيفة « إنى أحبك ياناديا ! »

وعندما توقفت الزاحفة عن السير ألقت نادنكا نظرة على الهضبة حيث انزلقنا ، ثم حدجتنى بنظرة طويلة، تستمع إلى وأنا أتكلم فى هدوء وبرود ، ويعرب كل جزء من جسمها الصغير ، حتى الفراء التى كانت تتغطى به يديها ، حتى غطاء رأسها ، عن منتهى الحيرة ، وكأنما قد سطر على وجهها « ماذا يعنى ذلك ؟ من الذى تفوه بتلك الكلمات ؟ أنطق بها هو أو أنى تخيلت ذلك فحسب ؟ »

وأصبح الشك يضايقها ويقصيها من كل صبر . ولم تعد الفتاة السكينة تجيب على أسئلتى ، بل صمتت فى غضب وكأنها على وشك البكاء.

وأخيراً سألتها « أليس من المستحسن أن نعود إلى الدار ؟ »

فقالت فى خفر « حسن . أنا ... إنى أحب هذه الرياضة . ألا تود أن تتزلق مرة أخرى ؟ »

إنها تحب « هذه الرياضة » ! ومع ذلك ، فعندما امتطت الزاحفة ، أصبحت ـ كما كانت فى المرتين السابقتين ـ شاحبة الوجه مرتجفة ، تلهث رعباً

وانحدرنا للمرة الثالثة . ولاحظت أنها تحدق فى وجهى وتراقب شفتى . ولكنى وضعت منديلى على فمى وسعلت . وعندما بلغنا منتصف الهضبة ، ، نجحت فى التفوه قائلا « إنى أحبك ياناديا ! »

وظل السر غامضا ! كانت نادنكا صامتة ، تنعم النظر فى . . لاشىء . . وأوصلتها إلى دارها . كانت تسير الهوينى ، وتحاول أن تقصر من خطواتها ، إلى أن تتحقق من أنى تفوهت بهذه الكلمات . ولاحظت كيف كانت روحها تتعذب ، وأى مجهود كانت تقوم به وهى تحدث نفسها قائلة « لايمكن أن تكون الريح قد تفوهت بهذه الكلمة ! إنى لا أود أن تكون هى السبب ! »

وفى صباح اليوم التالى تسلمت رقعة منها تقول فيها « إذا كنت تود التريض اليوم ، فاحضر إلى »

ومنذ ذلك الوقت أخذت أذهب يوميا للانزلاق مع نادنكا، وكلما نزلنا بالزاحفة أهمس قائلا « إنى أحبك ياناديا»

* * *

وسرعان ما اعتادت نادنكا هذه العبارة كما يعتاد المرء الخمر والمخدر ، وأصبحت لا تستطيع العيش بدونها . وفى الحق ، كان الانزلاق من التل الثلجى يرعبها دائما بيد أن الإحساس المخيف والشعور بالخطر قد ولدا لها سحراً غريبا من كلمات الحب ـ كلمات كانت لا تزال لغزا يعذب روحها . وكنا ـ أنا والريح ـ لانزال موضع شكها .. فقد كانت تجهل من منا الذى يغازلها . بيد أنه كان يبدو الآن أنها لم تعد تأبه بذلك أوتهتم. فشارب الخمر لايعبأ من أى دن يستقى مادام أن مايحتسيه يثمله .

ولقد حدث ظهر يوم أن ذهبت وحيدا إلى أرض الانزلاق واختلطت بالوجودين ، فشاهدت نادنكا تصعد الهضبة وتنظر باحثة عنى . . وكان يبدو عليها الخوف من الذهاب وحدها ـ أوه أى خوف ! لقد كانت ناصعة البياض كالثلج ، ترتجف وكأنها فى طريقها إلى المقصلة . بيد أنها واصلت التسلق فى عزم دون أن تلتفت خلفها . وكان من الجلى أنها صممت أن تتبين وحدها فيما إذا كانت ستستمع إلى تلك الكلمات العجيبة فى أثناء غيابى

وشاهدتها شاحبة الوجه منفرجة الشفتين ، تمتطى الزاحفة وتغمض عينيها ، ثم تندفع بها وكأنها تودع الأرض إلى الأبد

ولست أدرى هل سمعت نادنكا تلك الكلمات . كل ما أدريه أنى شاهدتها تنهض من الزاحفة وقد بدت متخاذلة منهوكة . ولم يبد على محياها ما ينبىء : أكانت قد سمعت شيئا أو لم تسمع . فقد كان خوفها وهى تنحدر قد جردها من حاسة السمع أو تمييز الأصوات . فلم تؤد بها محاولتها الجبارة إلى حل ذلك اللغز اللطيف . . ولم تحاول مرة أخرى

ثم أقبل شهر مارس ... وكانت أشعة شمس الربيع أكثر حنانا وشفقة . . وتحولت هضبتنا الثلجية إلى لون قاتم ، وفقدت بهاءها . وأخيرا ذاب الثلج وهجرنا الانزلاق : فلم يعد هناك ثمة موضع تستطيع فيه السكينة نادنكا أن تستمع إلى تلك

الـكلمات وفى الحق ، لا يوجـد هنـاك من يتفوه بها الآن ، فالربح قـد وات ، وكنت أنا الآخر على أهبـة الرحيل قاصـدا بطرسبرج لأقيم فيها مدة طويلة بل لعلها تكون إقامة مستمرة

وحدث قبل رحيلى بيومين أن كنت جالسا يغمرنى الظلام فى الحـديقة الصغيرة التى يفصل بينها وبين فنـاء نادنكا حاجز مرتفع … كان الجو لايزال باردا ، ولم يعـد هناك جليد . وبدت الأشجار وكأنما قد فارقتها الحياة . بيد أن رائحة الربيع كانت تضوع فى كل مكان ، والغربان تنعب فى صوت جهورى أثناء استقرارها فى عشها . وذهبت إلى الحاجز ، ووقفت مدة طويلة أتبصص خلال فرجة بالحاجز . وفجأة شعرت بالوحشة تنتابنى . وبدافع يدفعنى إلى العدول عن الرحيل

ثم شاهدت نادنكا تقبل نحو الطنف ، وتحدج السماء بنظرة حزينة والهة . كان النسيم يهب على وجهها الشاحب فيذكرها بالريح التى كانت تزأر فى وجهينا فوق الهضبة الثلجية عندما كانت تستمع إلى تلك الـكلمات الثلاث . وكسا وجهها حزن بالغ وانحدرت الدموع على خـدها ، ومدت الطفلة المسكينة ذراعها كما لو أنها تتوسـل إلى النسيم أن يأتى لها بتلك الـكلمات وفى هذه اللحظة همست قائلا « إنى أحبك ياناديا ! »

يالرحمة الله ! أى تغير ذلك الذى طرأ على نادنكا ! لقد ندت عنها صرخة ، ثم ابتسمت ابتسامة أشرقت على وجهها ، وبدت تغمرها البهجة والسعادة والجمال . وجعلت تستقبل النسيم بذراعيها

وذهبت أحزم أمتعتى …

* * *

كان ذلك منذ أمد بعيد . أما الآن فقـد تزوجت نادنكا . . تزوجها سكرتير أحد النبلاء . ولها الآن أولاد ثلاثة . .

ومع ذلك فإن ذكرى تلك الأيام التى كانت تذهب معى فيها للانزلاق ، فتستمع إلى الريح تهمس إليها « إنى أحبك ياناديا ! » هذه الذكرى لم تغب عن بالهـا مطلقا ، لأنها فى عرفها أجمـل وأسعد بل أكثر الذكريات تأثيرا فى حياتها …

بيد أنى ، وقد بلغت الآن من الـكبر عتيا ، لا أستطيع أن أفهم لـماذا تفوهت بتلك الـكلمات ، ومـاذا كان باعثى على هذه المزحة ! ؟

محمد فتحى عبد الوهاب

فرقة المسرح المصري الحديث | ابتداء من السبت ٣ فبراير | مسرح حديقة الأزبكية

المؤلفة من خريجي المعهد العالي لفن التمثيل

تقـــدم

موسمها الثاني روايات جديدة

مريض الوهم ! ! — لموليير ترجمة ادوارد ميخائيل

الجلف — لتشيكوف ترجمة زكي طليمات

في إحدى الضواحي ؟ — لبرتبلي ترجمة حسن وهبي

حورية من الجنة — تأليف رشاد حجازي

في خدمة الملكة ... — المقررة على طلبة الثقافة

جميعها من إخراج



الأستاذ زكي طليمات

عبد الرحيم الزرقاني : سعيد أبو بكر

نعيمة وصفي : محمد السبع

نور الدمرداش : ملك الجمل

احمد الجزايرلي : صلاح سرحان

انشراح الألفي

عبد الغني قمر : زهره العلى

عبد المنعم ابراهيم : سميحة أيوب

عدلي كاسب : سناء جميل

كمال يس : فوزية مصطفى

محمود عزمي

أسعار في متناول كل يد — الفن لجميع الطبقات

ديوان الأســـمر

للشاعر الكبير الأستاذ محمد الأسمر

أكبر مجموعة شعرية ظهرت في هذا العصر الحديث

من بعض ما يحتوي عليه هذا الديوان الأبواب الآتية

محمد صلى الله عليه وسلم	ملكيات	قوميات	سياسيات
أناشيد	الحرب العالمية الثانية	شرقيات	سودانيات
فلسطين	دموع وزفرات	اجتماعيات	نسائيات
شعراء الحانة	وحي المصطاف	إخوانيات ودعابات	مختلفات

سبعمائة صفحة على ورق فاخر وطبع أنيق

يطلب هذا الديوان الممتاز من (مكتبة دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه . مصر . القاهرة)

الثمن سبعون قرشاً عدا أجرة البريد